منشورات الجامعة الليبية
كلية الآداب

أفلاطون

محاورة منكسينوس أو عن الخطابة

تأليف
الدكتور عبد الرحمن المسلمي

اهداءات ٢٠٠١

ا.د/ المرحوم زكى على

القاهرة

افلاطون

الطبعة الأولى
١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م

منشورات الجامعة الليبية
كلية الآداب

أفلاطون

محاورة منكسينوس أو عن الخطابة

تأليف
الدكتور عبد الله حسن المسلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

لا ينكر أحد أن جهابذة الفكر الإغريق والرومان قد قدموا للعالم ثماراً ناضجة في الفلسفة والفلك والهندسة والطب والمسرح والتاريخ ، ولا يشك أحد أن العالم لم ولن يزل يدين لهم بالكثير . لقد ساهموا ، بكل ما أتاحته لهم امكانات العصر الذي عاشوا فيه ، بوضع لبنة صالحة في كل مجالات المعرفة . ومن ثم فإن كل أمة تود أن تستغل الدرس والعبرة ، التي حاولوا أن يضعوها أمام ناظري الإنسانية ، كي تسير حثيثاً نحو الأمام وجب عليها أن تهتم بنتاج قرائح هؤلاء المفكرين اهتماماً جاداً . وليس من الانصاف أن ننظر للماضي على أنه اندثر وانتهى أمره ، وإنما الانصاف أن نتمثله حي واقع يمثل شعوباً عاشت وخاضت تجربة الحياة وقدمت لنا ثمار تجربتها كي نستفيد منها ولا نتورط في اخطائها بل لننطلق من هذه التجربة نحو التقدم والازدهار .

وإذا كان هذا هو الواقع في كثير من المجالات فإن الأمر بالنسبة لانتاج هؤلاء المفكرين الأدبي يختلف ، فلم يزل العالم يقتات على فتات موائد كتاب المأساة العظام أمثال أيسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيديس ، وكتاب الملهاة أمثال أريستوفانيس وميناندر وغيرهم . ولعل ملاحم هوميروس وفرجيل

لا تحتاج إلى تنويه . ولا يزال اسم أفلاطون وأرسطو وابيقور وشيسرون ملىء الاسماع والأبصار .

وانطلاقاً من هذا أتعرض لجانب من جوانب أحد هؤلاء العمالقة ، أفلاطون . أشتهر أفلاطون بأنه فيلسوف ومؤسس الأكاديمية . واشتهرت الأكاديمية بأنها مدرسة لتخريج الساسة والمشرعين . وكان السياسي في نظر أفلاطون هو ذلك الرجل الفاضل الذي يبني معرفته على الحقيقة . وتتطلب هذه الحقيقة دراسة الفلسفة والعلوم الرياضية والهندسة والفلك . وعلى الجانب الآخر كان السفسطائيون يعلمون فن الريطوريقا . وعرف عن أفلاطون موقفه ضد الريطوريقا . ولما نتعرض لمحاورة مينيكسينوس نجد أن أفلاطون لا يقف موقفاً معاد للريطوريقا وإنما لا يوافق على أسلوب السفسطائيين في تعليمها وهذا هو دأب أفلاطون دائماً ، البحث عن الطريق الأمثل لكل مسالك الحياة العملية والعلمية . وفي محاورة مينيكسينوس نجده يقترح الأسلوب الأمثل لممارسة فن الريطوريقا ، من وجهة نظره ، ويضع لهذا الفن قواعده وأصوله ، وإذا كان أفلاطون يضرب لنا في هذه المحاورة مثلاً ، خطب المراثي ، إلا أننا نستطيع ، بناء على هذه المحاورة وبعض المحاورات الأخرى ، أن نتبين نظرته العامة نحو فن الريطوريقا وتعليمه .

ومحاورة مينيكسينوس التي تتناول الريطوريقا هي موضوعنا في هذا الكتاب الذي كنت أعددته ليكون بحثاً ينشر بمجلة كلية الآداب بالجامعة الليبية ، ولكن حجمه زاد عن أن يحتويه مقال بالمجلة . وإنني لأشكر للأخ الدكتور منصور الكيخيا عميد الكلية والأخ الدكتور محمد دغيم وفيلها عونهما وتشجيعهما الدائم ، كما أشكر قسم المطبوعات والنشر لما بذله من جهد لإخراج هذا الكتاب على الصورة المناسبة .

والله ولي التوفيق .

عبد الله المسلمي

بنغازي في نوفمبر ١٩٧١ .

تصدير

اهتم اليونانيون في القرنين السادس والخامس بالعالم الخارجي . شغل الفيثاغوريون بالأخلاق والأيوليون بالمبادىء العقلية والجدل . وأما مسائل العالم الداخلي الذي هو مصدر الأخلاق وموطنها ، والعقل الذي هو مصدر المعرفة ومستقرها ، فلم يعن بهما بالذات [1] .

ومع مطلع القرن الخامس جاء إلى العالم الاغريقي عامل جديد ، الحروب الفارسية الكبرى التي بدأت منذ عام ٤٩٠ ق.م . وانتصر الاغريق ، وكان انتصارهم غير متوقع لما بين القوتين الفارسية واليونانية من فارق عظيم . وكان من نتائج الحروب الفارسية شعور بالثقة أطلق القرائح ، وأبدع شعراء التراجيديا أيسخيلوس وسوفوكليس ويوديبيديس ، وأصبحت التراجيديا فناً عملاقاً . وتغير حال الكوميديا على يد أريستوفانيس . وبعد أن كانت الكوميديا والتراجيديا تحلقان في عالم الأولمب ، بدأت تلمس أرض الواقع وتناقش قضايا المجتمع السياسية والاجتماعية والأخلاقية . لقد وجدت لها أبطالاً من البشر . ازدهرت فنون الشعر كلها وتنوعت .

وفي مجال الفلسفة والتعليم ظهرت مدارس تناقش مسائل العالم الداخلي ،

(١) انظر يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٤٤ .

وأهم اتجاهين في هذا المجال ، كان اتجاه السفسطائيين الذين تشككوا في في العقل وأصول الأخلاق من ناحية ، واتجاه سقراط الذي كان يعلم الفضيلة بأنها المعرفة الحقة .

وفي المجال السياسي ، بدأت تشريعات دراكون وسولون وكلايسثنيس تتبلور وتلطور لتشير إلى الديمقراطية «كدستور الغد» . فمنذ اشتراك طبقة صغار الملاك في المعارك وانهيار صورة الفارس البطل الفرد في القرن السادس ، بات واضحاً أن الديمقراطية آتية لا محالة ، وكان دستور كلايسثنيس عام ٥٠٨ ق.م الذي قضى على معاقل الارستقراطية وحطم سلطات الآريوباجوس وأعطى لمجلس الخمسمائة صلاحيات واسعة . وخطت الديمقراطية خطوة كبيرة على يد الزعيم الديمقراطي إفيالتيس عام ٤٦٢ ق.م . وأخيراً جاء بركليس زعيم أثينا الأشهر . الذي وضع تحت رعايته الفنانين والنحاتين والفلاسفة ، فكان هناك من جماعة أصدقائه أنكساجوراس وفيدياس وسقراط وسوفوكليس وغيرهم . ونشطت مختلف الفنون والعلوم . وقام مشروع البناء العظيم ، أسوار أثينا الطويلة والبارثنون وتجميل أثينا لتكون عاصمة الامبراطورية الأثينية . وفي مجال السياسة خطت الديمقراطية أوسع خطواتها على يد بركليس ، وكما يقول أفلاطون في الجمهورية «أصبح المكان يتفجر بالحرية» . نظم بركليس المجالس الشعبية كما نظم المحاكم . وكانت المحاكم تتكون عادة من جماعة كبيرة درايتهم بالقانون قليلة . ولذا كان على المتحدث أن يقوم غالباً بالتأثير عليهم لا باقناعهم بالحجج والبراهين ، إذ لم يكن هناك فرصة لذلك . ومن الطبيعي أن تؤدي الديمقراطية إلى حرية التقاضي وكثرة القضايا . وكان الادعاء يقوم من قبل الأفراد وليس من قبل الحكومة ، ولذلك كان من السهل أن يقع المواطنون تحت طائلة الاتهام . وقام سقراط يدعو إلى التمسك بالفضيلة والعمق وإلى تنظيم الحرية (الجمهورية ، ٥٦٢ وما يليه) لما فيها من خطر على الديمقراطية إذا أسيء استغلالها .

وظهر السفسطائيون في هذا المجال ليلبوا ضرورة الوقت . وكان رأي السفسطائيين أن معرفة العلوم المختلفة لا تفي متطلبات الوقت ، فما جدوى هذه العلوم وما جدوى الفضيلة ، في نظرهم ، إذا كان هناك من لا يستمع إليها ؟ ورأوا أن الضرورة تحتم تعلم الخطابة وفن التأثير على المستمعين وكسب الجدل بأي وسيلة ممكنة . إذن فالريطوريقا في نظرهم هي الفضيلة وهي اسمى العلوم . والواقع أن الوقت آنئذ كان في صالح السفسطائيين .

أما سقراط الذي أراد أن يعلم الفضيلة = المعرفة الحقة ، فقد راح ضحية تعليمه وأعدم . وترك سقراط خليفته أفلاطون الذي سار على نهج أستاذه . ولكن لسوء حظه أنه عاصر مجد أثينا وهو في طريقه إلى الانهيار على أثر الحروب البلوبونيزية . وعندما لا تجد النار ما تأكله تأكل بعضها . لقد وقعت أثينا ، مهد الديمقراطية ، فريسة الطغيان . وعندما يقوم الطغيان تصبح حرية الكلمة محجورة . وجاءت حكومة ديمقراطية ضعيفة مزعزعة فكان خوفها من حرية الكلمة أشد .

نادى أفلاطون بقيام حكومة مثالية ، تكون كل أسسها على أساس من التفكير العميق : الطغيان كله شر ، والأوليجاركية عبارة عن شعب من المتسولين. أما الديمقراطية فأعز شيء فيها هو الحرية ولذلك يجب أن تنظمها حتى لا تقع فريسة الطغيان . ونادى أن يكون التعليم شاملاً عميقاً يحتوي على الفلسفة والهندسة والأدب وكل مختلف الفنون . ووقف ضد الريطوريقا إذا كانت قائمة على التأثير والتهريج على أسلوب السفسطائيين . وعدل أفلاطون موقفه في الفترة الأخيرة من حياته في كثير من آرائه : فمن الجمهورية الفاضلة إلى القوانين ، ومن وقوفه ضد الريطوريقا إلى الريطوريقا الفلسفية القائمة على المعرفة وعلم النفس .

وإذا كانت محاورة فايدروس التي كتبت في عام ٣٥٩ ق.م وهناك إجماع على أنها تحول في اتجاه أفلاطون نحو إعترافه بالريطوريقا كفن تعليمي ، فإن

محاورة مينيكسينوس التي كتبت عام ٣٨٧ ق.م ، والتي أصبح معروفاً أنها تتناول نوعاً من الخطابة ؛ فإنه يمكننا القول أن اهتمام أفلاطون بالخطابة قد بدأ منذ أعدم سقراط . ولكن برنامج أفلاطون إتجه إليها بوصورة أوضح بعد وصول أرسطو وثيوديكتوس إلى الأكاديمية .

أفلاطون

١ ـ حياته

هناك خلاف حول مولد أفلاطون . فالبعض يقول أنه ولد عام ٤٢٩ ق.م ، والبعض الآخر يقول بعام ٤٢٨ ق.م وربما ٤٢٢ . ولكن الأرجح أنه ولد عام ٤٢٧ ق.م[١] . والواقع أن تاريخ ميلاده هذا ذو دلالة تاريخية كبيرة ، إذ أن هذا يعني أنه ولد وعاش في الفترة التي كانت تعاني فيها أثينا ويلات الحرب البلوبونيزية ، كذلك لا بد وأنه قد عاصر في شبابه هزيمة أثينا في معركة آيجو سبوتامى عام ٤٠٥ ق.م هذه إذن كانت فترة انهيار الإمبراطورية الأثينية وما تبع ذلك من أحداث مريرة أدت إلى إنهيار شامل في جميع النواحي السياسية والمعنوية[٢] . على أية حال ، كان مولد أفلاطون في جزيرة أيجينا Aegena القريبة من الشاطىء الأتيكي . وعاش أفلاطون طويلاً إذ أنه مات في عام ٣٤٧ ق.م . وأبوه أرسطون ينحدر من أصل عريق يمتد إلى كودروس

---

(١) يرجح مولد أفلاطون بين ٤٢٩ حتى ٤٢٢ ق.م . انظر
G. G. Field, Plato and his contemp. , p. 4 s 99 .

(٢) A.R. Burn, Pericles and Athens, p. 160 sqq.

آخر ملوك أثينا . أما أمه أريكتيوني فتتصل نسباً بالمشرع الأثيني العظيم سولون[1] .

وهنا ينبغي أن نذكر شيئاً عن شباب أفلاطون الذي نشأ في أسرة مارس عدد كبير منها السياسة والأدب . فهناك ابن أخته سبيسيبوس الذي خلفه في رياسة الأكاديمية ، وهناك أيضاً خاله خارميديس وابن عمه كريتياس اللذان كانا من بين الطغاة الثلاثين الذين حكموا أثينا حكماً أوليجاركيا بعد الحرب البلوبونيزية[2] . جاء الحكم الأوليجاركي عام ٤٠٤ ق.م ولم يستمر طويلاً . وحتى هذا العام ، ٤٠٤ ، يمكن القول بأن أفلاطون كان في الثالثة والعشرين من عمره . هذه الثلاثة والعشرون عاماً من عمر أفلاطون ، هي الأعوام التي يقضيها الشاب الاثيني في تعلم مختلف الفنون ، القراءة والكتابة والموسيقى والالتحاق بالجمنازيوم ، وأخيراً التعليم العالي ، إذا صح التعبير ، بالالتحاق بدروس الفلسفة والخطابة ومختلف الفنون الكبرى ، ثم الانخراط في سلك الجندية من الثامنة عشر حتى الثالثة والعشرين . وهذه هي فعلاً المراحل التي مر بها أفلاطون ، شأنه في ذلك شأن كل شباب أشراف أثينا[3] . وقد نستخلص من هذا أن أفلاطون لم يكن في سن يؤهله بعد لأن يشارك مشاركة فعلية في الأحداث السياسية الجارية في هذه السنوات ، وانما بطبيعة الحال عاش هذه الأحداث ورآها عن كثب . ولعل الخطاب السابع الذي أرسله إلى أعوان ديون يبين لنا كيف كان ينظر إلى هذه الأحداث . في هذا الخطاب يشير أفلاطون إلى أمرين ينبغي أن نعطيهما أهمية خاصة ؛ أولهما ، أنه يقول بأنه كان يود لو أتيحت له الفرصة كي يشارك في الحياة العامة عندما يبلغ سن الرشد ، ولكن ما شهده من فساد الأمور والسخط العام على الدستور جعلاه

---

(١) Burnet, Greek Philosophy, Thale tos Plato, p. 351.

(٢) كتب أفلاطون محاورات بأسماء بعض أقاربه وأصدقائه مثل: كريتياس ، خارميديس ، أنتيفون الخ .

(٣) انظر F. A. G. Beck, Greek Education.

يحجم عن ذلك . وثانيهما ، أن بعض أصدقائه وأقربائه من الحكام الثلاثين قد دعوه لمشاركتهم « باعتبار أن هذه الأعمال من جملة ما يشتغل به أمثالي » ، وهذا قد يؤخذ على أن أفلاطون كان موافقاً على ما يقومون به من أعمال . ولكن عندما نواصل قراءة هذا الخطاب نجد أنه يقول أنه لما تبين مسلكهم رأى في الدستور الذي كانوا يسخطون عليه دستوراً ذهبياً . فماذا يعني هذا القول ؟ لا شك أنه يشير إلى حقيقة بارزة . كان أفلاطون مفكراً يعيش أحداث عصره في غير عزلة ، فهو يشارك الآخرين آمالهم وآلامهم ومن ثم كان يرى أن الدستور القديم لا يوفي بالغرض الذي جاء من أجله . ولما قامت حركة تهدف إلى التغيير كان مؤيداً لها على أمل أن تأتي هذه الحركة بخير للبلاد . وكأي حركة سياسية تقوم لتغيير نظام يسود السخط عليه يكون لها مؤيدون بغض النظر عما تتمخض عنه هذه الحركة . وهذا هو السبب الذي يرجح أن أفلاطون قد وافق من أجله على هذه الحركة في بادىء الأمر . ولكن العبرة في تأييد هذه الحركة أو معارضتها بعد أن تظهر معالمها واتجاهاتها ، ولذلك لم يؤيد أفلاطون الطغاة الثلاثين لما ظهر أنهم طغاة بالمعنى الحديث لهذه الكلمة. وهذا هو السلوك الذي يسلكه الناس في كل مكان وزمان في مثل هذه الظروف ؛ ولم يكن أفلاطون نشاذاً ، فحال أثينا كان الانهيار بعينه . كانت العيون تبحث في أي مكان واتجاه عن الاصلاح وتتلهف لوجود منقذ . وخير دليل على ذلك ما ساد أثينا عندما حل بها وباء الطاعون أثناء الحرب البلوبونيزية[١] .

وهناك نقطة أخرى يجدر ذكرها في هذا الموضع عندما نود أن نقيم إتجاهات أفلاطون في الفترة المبكرة . يقول تيلر[٢] إن سقراط قد ولد حوالي ٤٦٩ ق.م ، وأن أفلاطون كان يصغره بحوالي ثلاثة وأربعين عاماً تقريباً . هذا يعني أن سقراط قد ولد في حوالي ٤٢٦ ق.م ، أي أنه كان في السابعة

---

(١) انظر وصف ثوكيديديس Thucyd., II, 34

(٢) A. E. Tylor, Socrates, p. 2sq.

والعشرين من عمره عندما أعدم سقراط عام ٣٩٩ ق.م ، وبالتالي كان أصغر من ذلك بحوالي خمسة أعوام عندما قام الطغاة الثلاثون بحركتهم عام ٤٠٤ ق.م ، لقد كان في الثانية والعشرين تقريباً . وشاب في مثل هذا السن يجب ألا نحمله من الآراء وأن نأخذ عليه من التصرفات ما يفوق هذا السن .

التقى أفلاطون بعدد من علماء عصره أمثال كراتولوس ، الذي كتب باسمه محاورة ، حيث يناقش فيها مذهب هيراكليتوس ، ولكن أهم شخصية أثرت في أفلاطون هو الفيلسوف الكبير سقراط[1] ، الذي يقال أنه بدأ تتلمذه عليه في العشرين من عمره . وبعد أن أدى واجبه العسكري حتى الثالثة والعشرين ، كان قد حلت بأثينا هزيمتها في الحروب البلوبونيزية ثم قيام حكم الطغاة في ٤٠٤ ق.م ، ثم انهياره في عام ٤٠٣ ق.م ؛ ولكن منذ قيام حكومة الطغاة الثلاثين بدأت سلسلة من الإرهاب وأحكام الاعدام ، وبعد انهيار هذه الحكومة وعودة الديمقراطية قدم الطغاة إلى المحاكمة ، ومن بينهم كريتياس وخرميديس قريبا أفلاطون وصديقا سقراط . وتحمل سقراط وزر عار هذين الشخصين على أنه مربيهما . ومع أن كريتياس كان شاعراً واسع الثقافة له ميول ديمقراطية واضحة ، وكان خرميديس شخصاً خجولاً دخل ميدان السياسة حديثاً[2] ، إلا أنه يبدو أن الظروف قد حولت اتجاهاتهم وأغرتهم مكانتهم الجديدة . على أية حال تحمل سقراط جانباً كبيراً من أخطاء الثلاثين على الرغم من أننا نعرف أنه قال ما يدل على عدم رضائه عن أحكام الاعدام التي نفذوها أقوالاً كثيرة لاذعة. لقد قال أنه لم ير في حياته قط راعياً يفاخر بمهارته في إنقاص عدد قطيعه ، وهو في هذا يسخر من الثلاثين ودمويتهم[3] . ولاقى سقراط التهديد والوعيد إن لم يمتنع عن التحدث إلى

---

(١) A.E. Tylor, Plato, p. 3 ; Burnet, o. c., p. 209.

(٢) Xenophon, Memorabilia 3, 7, 1.

(٣) Xenophon, id., 1, 2, 32.

الشباب بحجة أنهم قد حرموا فن الخطابة والريطوريقا . بل وحاولوا أن يشركوا سقراط ، مثله مثل العديدين غيره ، في جرائمهم بأن أرسلوه كي يقبض على ليون السلاميسي ، وعصى سقراط هذا الأمر وهو يتوقع الاعدام ثمناً لذلك[1]. ولعله مما يجدر بالذكر أن كريتياس كان أعنف الطغاة الثلاثين تهديداً لسقراط . مما يؤكد أن سقراط لم يكن لا ضالعاً ولا راضياً ولا مؤيداً لهؤلاء الطغاة . ومع ذلك اعتبر الديمقراطيون سقراط مسئولا عن تصرفاتهم . وكان المفروض أن يقدم سقراط للمحاكمة في عام ٤٠٤ — ٤٠٣ ، ولكن الثورة والثورة المضادة لم تجعل ذلك ممكناً بسرعة . لقد كان لا بد من مراجعة مجموعة القانون الأثيني وانتهت اللجنة من ذلك في عام ٤٠١ — ٤٠٠ ق.م . وقدم سقراط للمحاكمة عام ٤٠٠ — ٣٩٩ ق.م . ويقال أن أنيتوس بن أنثيميون الذي كان العامل الرئيسي وراء هذه المحاكمة لم يكن يهدف إلى إعدام سقراط وإنما أن ينسحب إلى المنفى ويصدر الحكم عليه غيابياً[2] . وفي المحاكمة لم يركز سقراط تركيزاً كبيراً على موضوع ليون السلاميسي وكيف أنه تحدى كريتياس، كما لم يحاول كثيراً أن يستشهد بمجده الحربي وكان دفاعه استكمالاً للمبدأ الذي يدين به . ولكن عندما وصل إلى موضوع استاذيته لكل من ألكيبيادس وكريتياس نجده يصرح : « إنني لم أعلن قط أي رضاء آثم على هؤلاء الذين يقال خطأ أنهم تلاميذي ، وعلى أي شخص آخر . ولم أكن معلماً قط لشخص كائناً من كان[3] » ولما حكم على سقراط بالاعدام لم يعرض على المحكمة أن توقع عليه عقوبة أخرى كالنفي ، وكانت المحكمة لترضى بذلك لو أنه تقدم بالعرض ولكنه لم يفعل . لقد كان سقراط يؤمن بقوانين الدولة وسلطانها وكان يؤمن بطاعة الفرد للقانون . كما لم يرض لنفسه أن يهرب من الموت .

نسوق هذا القول لنؤكد نوعية العلاقة بين الفيلسوف المعلم وبين من

---

(١) Plato, Apology, 32, d-e ; Plato, Letters, 7.

(٢) Plato, Apology, 29 c.

(٣) Plato, Apology, 33. a cf. Isocr., 11, 5 ; Aeschin, 1, 173.

يصاحبونه أو يستمعون إلى فكره . فمسئولية سقراط عمن يمكن أن نسميهم تلاميذه لا تلزمه بتصرفاتهم ، وليس من الضروري أن تكون هذه التصرفات نابعة من تعاليم الأستاذ . ولقد دلل سقراط على ذلك في المحاكمة بأن استدعى أقرباء أفلاطون الكبار منهم والشباب كي يدفع عن نفسه تهمة إفساد الشباب . وهذا القول عينه يمكن ، دون خطأ كبير ، أن ينطبق على أفلاطون ومن يقال أنهم صادقوه أو تتلمذوا عليه . فما أظهره أفلاطون من عدم رضائه عن الأعمال التي قام بها أقرباؤه وأصدقاؤه يشابه تماماً ما قال به سقراط ، وكلاهما صادق فيما يقول . وأعظم دليل على صدق قول سقراط أن أسلوبه في الدفاع لم يكن أسلوب من يخشى الموت ويريد مجرد التخلص من المحاكمة[1].

وبعد انهيار حكم الطغاة الثلاثين وعودة الحكم الديمقراطي الذي أعدم قريباه خارميديس وكريتياس لم يمتعض أفلاطون ، وإنما أحس رغبة في السياسة يبغي المعاونة على تأييد العدالة وتوفير السعادة . إذن لم يكن أفلاطون معاد لأولئك الديمقراطيين عندما أنصفوا بعض الشيء . ولكن لما أعدمت الديمقراطية سقراط ، يئس من السياسة « وأيقن أن الحكومة العادلة لا ترتجل ارتجالاً ، وإنما يجب التمهيد لها بالتربية والتعليم[2] » .

وبعد اعدام سقراط في عام ٣٩٩ ق.م ، بدأ أفلاطون مرحلة من الأسفار . ولا يمكن أن نفترض أن أفلاطون قد فر من أثينا خوفاً من ملاحقة الديمقراطيين له بوصفه عضواً في الجماعة الأوليجاركية المعادية للديمقراطية : إذ أنه وقد عرض عليه بعض أعضاء هذه الجماعة أن يقلدوه أعمالاً تناسبه ، وهو فتى في الثالثة والعشرين ، رفض وآثر الانتظار ، بل إنه كان من الممكن أن يكون أحد العاملين في الحكم الديمقراطي الذي جاء بعد حكومة الطغاة الثلاثين ،

---

(١) كتب أفلاطون الخطاب السابع في حوالي ٣٥٣ – ٣٥٢ ق.م، أي وهو في حوالي الخامسة والسبعين من عمره ، وفيه يكشف عن أحلام شبابه بصدق . Plato, Letters, 7

(٢) يوسف كرم ، الفلسفة اليونانية ، ص ٦٢ – ٦٣ .

لولا حزنه لموت سقراط .

بدأ أفلاطون جولته بأن قصد إلى ميجارا و مكث هناك ثلاث سنوات عند اقليديس . ويقال أنه عاد إلى أثينا في حوالي ٣٩٥ ق.م حيث كتب أولى محاوراته[١] . وأما عن رحلته إلى مصر ، فإنه وإن كانت مؤكدة ، إذ يقول بها كل من شيشرون وسترابون، ويقال أنه قد زار في أثناء إقامته في مصر قوريني ، حيث تعرف بالرياضي ثيودروس ودرس عليه الفلك والموسيقى، ثم عاد إلى مصر ثانية . ويقال أيضاً أن زيارته لقوريني قد جاءت بعد انتهاء زيارته لمصر[٢] . ويبدو أن أفلاطون قد زار قوريني في بداية فترة الحرب بين أثينا واسبرطة عام ٣٩٥ ق.م ، ثم عاد إلى مصر بعد ذلك ومكث بها طويلاً بعد أن اضطر لمغادرتها نظراً لتحالف مصر مع اسبرطة في هذه الحرب . وشاهد أفلاطون في مصر آثارها وفنونها . وأقام في هيليوبوليس (عين شمس) مركز الديانة المصرية والحكمة[٣] . ورحل أفلاطون بعد ذلك إلى تارنتموم في جنوب ايطاليا ، ولقي أرخيتاس Architas زعيم المدرسة الفيثاغورية ، وكان مقصده من ذلك أن يقف على المذهب الفيثاغوري في موطنه . وأخيراً ذهب أفلاطون إلى صقلية بعد أن تعرف بديون صهر ديونيسوس طاغية سراقوسة . ولما ظهر تأثير أفلاطون على ديون غضب عليه ديونيسوس ووضعه فوق سفينة إسبرطية وأمر أن يباع في سوق العبيد فاشتراه أنيكريوس Annikrius القوريناني ثم أرسله إلى أثينا[٤] . وعاد أفلاطون إلى أثينا في عام ٣٨٧ ق.م ليؤسس الأكاديمية ، أقدم جامعة في العالم ، وظل يشرف عليها حتى استدعاه ديونيسوس الثاني طاغية صقلية عام ٣٦٧ ق.م . وكان ديونيسوس هذا شاباً في السادسة والعشرين سعى خاله ديون ان يجعل منه حاكماً فيلسوفاً .

(١) Plato, Polit., 257; Diogen. Laerk., iii, 6; RE, V, A, 181 i

(٢) Field, Plato and his Contempor. , p. 12.

(٣) Gomperz, Greek Thinkers, II, pp. 254, 258 ; Republ. 818 B.

(٤) Burnet, o. c., p. 211 sqq. ; Bluck , Plato's Life and Thought, p. 27 sqq.

ولكن أعداء ديون كانوا يدبرون المكايد وعلى رأسهم المؤرخ فيليستوس Philistus وأوهموا ديونسيوس الثاني أن ديون يدبر للاستحواذ على السلطة لنفسه بأن يقلب الحكم دستورياً بتأثير أفلاطون وتعاليمه وأخفقت هذه الرحلة أيضاً وعاد إلى أثينا مرة ثانية . وفي عام ٣٦٢ ق.م دعي أفلاطون مرة أخرى إلى صقلية وكان ديون منفياً خارج صقلية والتحق بالأكاديمية في أثينا . ولكن هذه الرحلة ، التي كانت الأخيرة لأفلاطون قد باءت أيضاً بالفشل .

كيف نفسر رحلات أفلاطون المتكررة إلى صقلية ؟ إن أمر رحلته الأولى إلى صقلية يرجح أنه كان نتيجة انفعاله بما رأى في تارنتم حيث وجد الحاكم أرخيتاس الرياضي الفيثاغوري الحاكم والقائد والمعلم يجمع بين قوة السلطة السياسية والعلم ، وهو أمر يجبذه بل ويدعو له أفلاطون . كان ديونيسوس الأول على العكس من ذلك ، محارباً محترفاً وطاغية وحسب ، وكان أفلاطون يأمل أن تكون الصورة في صقلية مثل تلك التي في تارنتوم ، ولهذا ذهب إليها ، وكان ما سبق الاشارة إليه . فلماذا عاد مرة ثانية ؟ يقول أفلاطون عندما دعي هذه المرة : « خجلت من نفسي أن أبدو مجرد رجل ألفاظ لم يحقق أي عمل[١] .. » ولكن ديونيسوس الثاني لم يتقبل تعاليم أفلاطون في الهندسة والقانون . ورحلته الثالثة إلى صقلية من المرجح أن دافعها هو نفس دافع سابقتيها . وأما عن علاقته بديون فإنه يقول : « أصبحت صديق ديون الذي كان شاباً في ذلك الحين وأخذت أفضي إليه بما اعتقده وما تحتاج إليه الإنسانية ، ونصحته أن يسلك طبقاً لهذه المبادىء . ولم أتصور قط أنني بذلك كنت أمهد لزوال الاستبداد في المستقبل ... وكان ديون سريع القبول لهذه المبادىء ، وعقد العزم على أن يحيا حياة تختلف عما كانت عليه في صقلية ، وأن يؤثر الخير على اللذة أو الترف[٢] » .

---

(١) أفلاطون ، الخطاب السابع .
(٢) أفلاطون ، الخطاب السابع .

ومهما يكن من أمر تعاليم أفلاطون التي أفضى بها إلى ديون ، فإنه ينفي نفياً صريحا أنه كان يدرك ما ينويه ديون في المستقبل ، وعلى أية حال كان أفلاطون لا يقبل بالحاكم المستبد ، وهو في نظره الطاغية ، وكان ديونيسوس طاغية . وكان يحدو أفلاطون الأمل في أن يجعله حاكماً أرستقراطياً بمعنى كلمة « أرستقراطي » عند أفلاطون . وإذا كان أفلاطون يتكلم عن لذة العادل والظالم ويضع الملكي في مقابل العادل والطاغية في مقابل الظالم ، فإن هذا لا يعني أن أفلاطون ينادي بحكم الملكية ، إذ أن كلاهما حاكم فرد . والأرجح أن أفلاطون يقصد بالملكي ، الصفة اليونانية التي تستخدم بمعنى « النبيل » . والنبيل تعني الأرستقراطي ، كما يقول : « وذلك إذا عددنا الملكي والارستقراطي واحداً » . وعلى ذلك يمكن القول بأن أفلاطون كان يميل إلى القول بأن الأرستقراطي ، وهو ذلك الشخص الذي يتمتع بالفضيلة ، فضيلة المعرفة ، هو الأقرب إلى العدل[1] . وإن أفضل وصف يصفه أفلاطون للطاغية كما أعتقد ، قوله : « إن المرء إذا ما ذاق قطعة من لحم إنسان ، ممتزجة بلحم قرابين مقدسة أخرى ، فإنه يتحول حتما إلى ذئب ... وبالمثل فإن زعيم الشعب عندما يجد نفسه سيداً مطاعاً ... الخ »[2] . ويقول الدكتور فؤاد زكريا : « وإن صفة الطغيان كانت صفة يطلقها أفلاطون على كل حاكم ذي اتجاه شعبي أو كل سياسي لا يعترف بالأوضاع الثابتة المستقرة ، ويسعى إلى تغيير النظم القائمة » (دراسة لجمهورية أفلاطون ، ص ٢٤) ، فهل هذا القول ينطبق على ما جاء في ترجمته لمحاورة الجمهورية فقرات ٥٦٥–٥٦٩ ؟!...

بعد عودة أفلاطون من رحلته الثالثة إلى صقلية لم يغادر أثينا مرة أخرى وظل يعلم في أكاديميته جميع فروع المعرفة بمساعدة عدد من العلماء كل

---

(١) أفلاطون الجمهورية ، ٥٨٧ .

(٢) أفلاطون الجمهورية ، ٥٦٥ وما يليها ،قارن فؤاد زكريا ، دراسة لجمهورية أفلاطون ، ص ٢٤ .

منهم يختص بمادة : الرياضيات والفلك والموسيقى والأخلاق والبيان والسياسة والجغرافيا والطب والتاريخ الخ . ومات في عام ٣٤٧ ق.م أثناء حروب فيليب المقدوني على أثينا .

٢ — مؤلفاته

نعرف لأفلاطون خمسة وثلاثين محاورة بالاضافة إلى الخطابات . ويجمع الباحثون على أن محاورات ألكيبياديس الثانية ، وهيبارخوس ،المحبون Amatores وثياجيس ، وكليتوفون ومينوس ليست من تأليف أفلاطون وإنما نسبت إليه . والرأي ينقسم حول ألكيبياديس الأولى والخطابات ، فمنهم من يرى بأنها من تأليف أفلاطون ومنهم من يرى عكس ذلك . ولكن الخطاب السابع من مجموعة خطاباته لا شك أنه من أعماله . وقد قام شك أيضاً حول محاورات إيون ، ومينيكسينوس ، وهيباس الأكبر ، وملحق القوانين ، ولكن الرأي الأرجح هو أن هذه المحاورات الأخيرة صحيحة النسب إلى أفلاطون[١] . ويذكر أرسطو كتاباً لأفلاطون يسمى « التقسيمات » لم يصلنا ، وطبيعة كتاب التقسيمات هذا ليست معروفة بصورة مؤكدة وإن كان هناك رأي يقول بأنه ربما يكون فهرس مدرسي . وهناك أيضاً محاورتان لم يصلنا عنهما شيء ، كان أفلاطون قد أعلن عنهما هما محاورتا « الفيلسوف » و « هرموكراتيس »، ولسنا ندري إن كان أفلاطون قد كتبهما بعد أن أعلن عنهما أم لا .

ولقد ثار خلاف كبير حول الترتيب الزمني لمحاورات أفلاطون واختلف المهتمون بدراسة أفلاطون في تناولهم لهذا الترتيب[٢] . فالمحاورات التي تتناول قضايا أخلاقية وتحاول الوصول إلى تعريف للفضائل متبعة المنهج السقراطي ،

---

(١) Gomperz, Griechiche Denker, p. 462 sqq.; L. Merdier, Platon, 78. ; Taylor, plato the man and his work, p. 3 sqq ; Marrou, Hist, of Educ., p. 373.

(٢) انظر القوائم الواردة عند D. Ross, Plato's Theory of Ideas, p. 2 sq.

يقال أنها المحاورات السقراطية وأنه قد كتبها في شبابه . ومن هذه المحاورات « الدفاع » وهي احتجاج على إعدامه وشرح لآرائه ، و« كريتون » ، وفيها يرفض سقراط فكرة الهرب من السجن لأنه قد تعاقد مع الدولة على ألا يقترف في حياته ما من شأنه أن يضعفها في سلطانها . وكما وعد سقراط في محاورة « الدفاع » أنه سيؤدي رسالته الفلسفية مهما كلفته من عناء ومهما أوذي في سبيلها من ذوي السلطة والنفوذ . فسقراط يؤدي واجبه ويتحدى كل ما هو باطل دون إخلال بالقانون أو الولاء للدولة . ومنها أيضاً محاورة « يوثيفرون » التي يحاول فيها سقراط أن يوقظ الناس بأن يستخدموا الفكر ويعملوا العقل وألا يقبلوا أي شيء دون بحث وتمحيص . ومنها كذلك محاورة « فيدون » التي يتحدث فيها سقراط قبيل ساعة موته عن خلود النفس[1] . وواضح أن المحاورات الأربع السابقة تتناول موقف سقراط من وقت اتهامه إلى ساعة اعدامه. وما دمنا نعلم أن أفلاطون قد تأثر تأثراً بالغاً باعدام سقراط ، فلعله مما يقارب الحقيقة أن نقول أنه قد كتب هذه المحاورات في نفس الفترة التي اعدم فيها سقراط أي عام ٣٩٩ ق.م ؛ وكذلك فإن ترتيب طبعة لويب وبوديه وما جرى مجراهما قد يكون الأقرب إلى الصحة . وتأتي في مرحلة الشباب هذه محاورات « هيبياس الأصغر » ، « والكيبياديس » ، « وهيبياس الأكبر » ، « ولاخيس » ، « وخارميديس » ، و « ليسيس » ، و « بروتاجوراس » ، و « إيون » ، و « جورجياس » ، والمقالة الأولى من « الجمهورية » . وبالإضافة إلى التقسيم الذي بني على أساس مضمون المحاورات ، فإن أمثال فيلاموفيتز قد فحصوا هذه المحاورات بناء على النظر في خصائص كل محاورة من حيث اللغة ومفرداتها وتراكيبها ، ومن حيث الأسلوب الأدبي والفلسفي[2] . والترتيب الذي يتبناه تيلور[3] يبرز لنا أمراً ذا دلالة واضحة ، وهي أن الأحداث التي

---

(١) انظر زكي نجيب محمود ، محاورات أفلاطون : أوطيفرون الدفاع، إقريطون، فيدون .

(٢) U. Von Wilamowit 3 — Moellendorff, Platon, zwiter Band, Berlin, 1920, p. 128qq.

(٣) Taylor, Plato, the man and his work, p. 3 sqq.

يشير إليها أفلاطون قد لا تنهض في كثير من الأحيان دليلاً على التاريخ الزمني للمحاورة ، ومن ثم فإن منهج فيلاموفيتز ومن سار على دربه هو الأقرب إلى الصواب .

وإذا كانت المحاورات التي ذكرناها آنفاً تحمل أثراً واضحاً من سقراط ، فإن محاورات المرحلة التالية يظهر فيها أثر زيارته لتارنتوم في جنوب ايطاليا . لقد تشرب أفلاطون الأفكار الفيثاغورية . إهتم أفلاطون في هذه المرحلة بالبيان والريطوريقا في محاورة « مينيكسينوس » ، وباللغة وأصلها في « كراتولوس »، وبالمعرفة والفضيلة والهجوم على السفسطائيين في « أوتيديموس » ، وبالحب الفلسفي في « المأدبة » . وأخيراً رسم المدنية الفاضلة في بقية « الجمهورية » . وعالج نظرية المثل في « بارمينيديس » . وحدد مفهوم العلم والخطأ في « ثيتاتوس » . وهكذا نجده يهتم بالمنطق واللغة والميتافيزيقا .

وأما المرحلة الأخيرة نجده يعالج مواضيع شتى تتسم بالجدل الدقيق . فهو يعالج تحديد مفهوم « السفسطائي » ويتناول موضوع الفن وأقسامه . ويحدد أيضاً مفهوم « السياسي » وماهيته وما يجب أن يكون عليه . ولكن هذه الفترة من حياته كانت فترة النضوج وتراكم التجربة . ويبدو أن موضوع تطبيقه لأفكاره في الجمهورية وما لاقاه من خيبة أمل في صقلية قد جعله يعدل الكثير من أفكاره . وهذا ما يمكن أن نقوله عن طابع « كريتياس » و « القوانين » كذلك « السياسي » . وفي هذه المرحلة تناول أفلاطون موضوع الفن وخصائصه وأقسامه في محاورتي « السفسطائي » و « فيلايوس »[1] .

---

(١) انظر يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٦٤ وما يليها ؛ أحمد فؤاد الأهواني ، أفلاطون ، ص ٢٢ وما يليها .

الأكاديمية

لقد كان السفسطائيون يجمعون حولهم الشبان ويتعهدون بتدريبهم . وكان هذا التعليم على يد السفسطائيين يمتد لثلاث أو أربع سنوات . وكان الطالب يدفع أجراً على ذلك ، هذا الأجر وصل في حالة بروتاجوراس إلى عشرة آلاف دراخما[١] في القرن الخامس ، أما في القرن الرابع فقد تقاضى ايسقراط فقط ألف دراخما[٢] ، بل وحتى ثلاثمائة دراخمات[٣] . وكان السفسطائيون أول من تقاضوا أجراً عن التعليم ، ومن ثم كان عليهم هم أن يقوموا بعرض بضاعتهم[٤] . قام السفسطائيون باستعراض فصاحتهم من مدينة إلى أخرى ومن احتفال إلى آخر لجذب التلاميذ . وكان هذا بداية المحاضرات العامة . وتهكم سقراط على أسلوب السفسطائيين المادي بسخرية لاذعة[٥] . لقد أدعى السفسطائيون العلم بكل شيء حتى يجلبوا الدارسين[٦] . ولعل نجاح السفسطائيين في اكتساب الشهرة ، يظهر لنا بوضوح كما يصوره أفلاطون[٧] ، يرجع

(١) H.I. Marrou, A History of Education in Antiquity, p. 49.
(٢) Plut., Isocr., 837 .
(٣) Isocr., Soph., 3.
(٤) Plat., Protag, 313d.
(٥) Plato, Crat., 384 b.
(٦) Plato, Hipp, Minor, 368 b-d.
(٧) Plato, Protag., 310 a.

إلى مقدرة وتأثير حقيقيين على مفكري عصرهم أمثال ثوكيديديس ويوريبيديس. لقد كانوا يعلمون « فن السياسة » بأسلوب عملي ولم يهتموا بالتأمل فيما وراء الطبيعة . لا يهتمون بالبحث عن الآلهة ولكن اهتمامهم موجه إلى الحياة نفسها وعلى الأخص الحياة السياسية والاستعداد لمواجهة كل الاحتمالات . الإنسان في نظرهم مقياس كل شيء ، وفي هذا المجال كان يكمن خطرهم واستحقوا بذلك لقب السفسطائيين . إنهم لم يعلموا الحقيقة المتعلقة بالمخلوقات أو الإنسان .

وفي مجال الجدل كان السفسطائيون يعلمون كسب المناقشة مهما كان موضوعها . ولهذا كانوا موضع نقد لاذع من أريستوفانيس في مسرحية السحاب ، ومن ثوكيديديس في تاريخه ، ذلك أن جدلهم كان يقوم على كسب المعركة حقاً أو باطلاً . ولكنهم أدخلوا على هذا الفن جديداً يجب أن نذكره لهم ، ذلك أن كسب المعركة الجدلية يجب أن تكون له أسلحته .

وفي مجال الريطوريقا أظهروا تفوقاً بالغاً . حقاً إن مناسبات معينة كانت تتطلب خطباً معدة من قبل كالخطب التي تلقى في تأبين الشهداء[١] . ولكن الحياة الديمقراطية كانت تتطلب رجلاً يستطيع أن يقنع المؤسسات النيابية المختلفة والمحاكم القضائية على أنواعها . وهذا يتطلب خطاباً مرتجلاً[٢] .

واضطلع السفسطائيون بتعليم فن الكلام ، الريطوريقا . وكان جورجياس فارس هذا الميدان ، وكانت صقلية منبع أول مظاهرها البارزة[٣] : وظل جميع من تعرضوا للريطوريقا بعد جورجياس يسيرون على قواعده التي تتكون من ثلاث عناصر : المقابلة ، وتوازن العبارة ، والسجع[٤] . كان الأستاذ

---

(١) Thucyd., II, 34.

(٢) Plato, Hipp. Maj., 304 b.

(٣) O. Navarre, Essai sur la Rhétorique grecque avant Aristote, Paris, 1900; H. Gomperz, Sophistik und Rhetorik.

(٤) Marrou, o. c., p. 53.

يعد نموذجاً مكتوباً ، ربما يكون موضوعه مستقى من الميثولوجيا ولكنه يتناول في الوقت إما الشعر أو الأخلاق أو السياسة[1] . وبعد أن يستمع الطلبة إلى الدرس يقومون بدراسة النموذج وحدهم[2].وكانت الموضوعات توضع تحت الفحص ثم يدرب الطلبة على موضوعات مختلفة ، وبعد ذلك كان عليهم أن يستخدموا ما تعلموه في موضوعات أخرى مبتكرة . ولما كانت الريطوريقا تتناول موضوعات متنوعة فقد اهتم السفسطائيون بتعليم تلاميذهم الثقافة العامة أيضاً ، سواء ما كان يتصل بالمواد النظرية أو العلوم الطبيعية والنظرية .

وكان سقراط معاصراً للسفسطائيين كما لم يختلف معهم على كل شيء . ولكنه اختلف معهم حول تعريف الفضيلة وهل يمكن أن تعلم . الفضيلة عند السفسطائيين هي كسب الجدل أي فن الريطوريقا ، ولا اهتمام بنوعية هذا الجدل سواء كان قائماً على أساس من الحق أو من الباطل. والفضيلة عند سقراط معنوية روحية تقوم على المعرفة الحقة . واختلف سقراط مع السفسطائيين حول المعرفة، فهيبياس الأكبر وغيره من السفسطائيين يدعون العلم بكل الأمور Polymathy ، بينما يقول سقراط أنه لا يعلم شيئاً ويبني التعلم على هذا الأساس . والسفسطائيون يتخذون من مواد العلوم العامة والميثولوجيا نماذج تقليدية تدور حولها أحاديثهم مع اضافات تمليها الظروف والمواقف ، وسقراط يولد من الماديات ومختلف العلوم أسساً للوصول إلى الحقيقة . ولم يهتم السفسطائيون إلا بالإنسان وحياته العملية ، وبحث سقراط عن المثل العليا . هناك قول شائع بأن سقراط هو صوت الطبقة المعادية للديمقراطية وأن السفسطائيين هم مثل المتحررين في عصرهم[3] . ولكن فحص « الجمهورية » وبقية محاورات أفلاطون قد يؤدي بنا إلى نتائج أخرى . هذا الفحص يبدو أنه يحتاج إلى البحث وراء معاني العديد من الاصطلاحات والعبارات . وإذا كانت « الجمهورية » هي

(١) انظر : Xenophon, Memoralilia, II, 1, 21-34 ; Plat., Hipp, Maj., 286 a-b

(٢) Plato, Phaedr., 228 d-e.

(٣) Marrou, o.c., p. 58.

من أكبر النقط التي يهاجم من خلالها أفلاطون ، فإن ذلك يبدو لي راجعاً إلى أمرين يجب أن ننظر إليهما بحذر ؛ أولاً ، إن أفلاطون يتخيل مدينة على صورة ما ، وثانيهما ، أنه كان ناقداً لعيوب النظم المختلفة وما قد تؤدي له هذه العيوب من كوارث . وعندما نركز الانتباه على النقطة الثانية ، وهي نقد العيوب في كل نظام نجد الآتي : يتحدث أفلاطون ، مثلا ، عن النظام الأوليجاركي كأمر واقع ، فهل يمكن أن يؤدي هذا النظام إلى موقف أسوأ ؟ من الصعب أن نعتقد بذلك ، لأن النظام الأوليجاركي نفسه سيء . ويتحدث أيضاً عن النظام ، إذا كان نظاماً ، المسمى بالطغيان ، فنجده كريهاً ممقوتاً من أوله إلى آخره ولا خير فيه . وعندما يتحدث عن الديمقراطية نجده يتكلم معها عن الحرية . وحديث أفلاطون عن الحرية ذو طابع سقراطي أفلاطوني ساخر . فهل نقول بأن أفلاطون يكره الحرية أو يقف ضدها ؟ من العسير كل العسر أن نقول بذلك أيضاً . لما كانت الديمقراطية تقترن بالحرية فهي إذن خير . ولما كانت الديمقراطية خير فلا بد أن هناك شر قد يتغلغل إلى داخلها . وهذا في الواقع ما يجب أن ننظر من خلاله إلى حديث أفلاطون . إنه يبالغ في حديثه عن الحرية حتى يصعب القول بأنه يقصد الحرية التي نفهمها ، انها أقرب إلى الفوضى والارتجال . ومن هنا ينبغي أن نعيد النظر إلى حديث أفلاطون على هذا المفهوم . فالديمقراطية كنظام فاضل يمكن أن يتسرب إليها الشرفتؤدي إلى نظام أسوأ . ولنر الآن كيف ينظر أفلاطون إلى كل من النظم التي أشرنا إليها : « حسنا ، ألا تجد في الدولة الأوليجاركية متسولين ؟ ... إن كل من فيها تقريباً متسولون فيما عدا الحكام » ، « فمن الواجب أن نعزو وجود هؤلاء الأشرار إلى الجهل ، وإلى سوء التربية ، وإلى نوع الحكومة الفاسد ... » ، « ذلك إذن هو طابع الحكومة الأوليجاركية ، وتلك هي الرذائل التي نصادفها فيها ، وربما كان فيها ما هو أكثر منها[1] » .

---

(١) الجمهورية ، ٥٥٢ .

وفي مكان تال لهذا يستطرد قائلاً بزوال مثلا هذا النظام لعيوبه[1] . وعندما يتحدث عن الطغيان والطاغية ، فلا يظهر في حديثه أي خير يرجى من طاغية أو طغيان[2] .

ولنأت إلى حديث أفلاطون عن الحرية : « فهل للديمقراطية أيضاً غايتها ، التي إذا تطرفت في التطلع إليها كان في ذلك آفتها ؟ » ، « أي غاية تعني ؟ » ، « أعني الحرية ، فهم في النظام الديمقراطي يقولون لك إن أثمن ما تعتز به الدولة هو الحرية ، ومن هنا قيل أنها هي الدولة الوحيدة التي يمكن أن يحيا فيها شخص ولد حراً »[3] . وعندما يستطرد أفلاطون حديثه على لسان سقراط في الفقرات التالية نجده يعني بالتطرف في الحرية الفوضى . ونتبين ذلك واضحاً من قوله : « إن نفس الداء الذي أصاب الأوليجاركية وأودي بها ، يتفشى هنا (أي في الديمقراطية) أيضاً ، وينتشر بمزيد من القوة ، نظراً إلى الفوضى السائدة فيجلب على الديمقراطية العبودية والذل . ذلك لأن من المؤكد أن التطرف يؤدي في كل الأحوال إلى رد فعل عنيف مضاد ... »[4] . الكلام واضح ؛ التطرف في الحرية يؤدي إلى فوضى تنخر قوائم الديمقراطية ، وإن أحسن وأغلى ما تعتز به الديمقراطية هي الحرية ويجب أن تكون حرية منظمة حتى لا تؤدي بها بعد العزة إلى ذل الطغيان . إذن أفلاطون ينقد العيوب حرصاً على كل ما هو خير . ولا يجب أن نقول أنه يهاجم الديمقراطية وإنما هو يهاجم الفوضى ويخشى على الحرية منها . وسقراط هنا هو الذي يجري على لسانه الحديث . كان سقراط ينطق في محاورات أفلاطون بمنطق الفيلسوف الذي يهدف إلى أسمى التصرفات إلى خلق أجيال على درجة معينة من التفكير وأسلوب الحياة . وكان من سوء طالعه أنه كان صديقاً لأشخاص انحرفوا

---

(١) الجمهورية ، ٥٥٥ .
(٢) الجمهورية ، ٥٦٥ وما يليها .
(٣) الجمهورية ، ٥٦٢ وما يليها .
(٤) الجمهورية ، ٥٦٣ .

عن الطريق ، ولكن أسوأ حظ ناله هو أنه عاش في ظل حكومات كانت تخشى حرية الكلمة ، ودفع حياته ثمناً رخيصاً لذنوب أغلب الظن أنه لم يرتكبها[1] .

غادر أفلاطون أثينا في ٣٩٩ ق.م طوافاً بالمدارس المعروفة في ذلك الوقت . وكان السفسطائيون يواصلون تعليمهم . وفي حوالي عام ٣٩٠ ق.م ، افتتح ايسقراط مدرسة تعليمية تسير على نهج هؤلاء السفسطائيين . ولما عاد أفلاطون إلى أثينا في عام ٣٧٨ ق.م ، كانت فكرة الأكاديمية قد اختمرت في ذهنه ، خاصة وأنه قد آل على نفسه أن يواصل تعليم سقراط الذي كان ناقداً للسفسطائيين[2] .

ولنعرض الآن نبذة عن مدرسة ايسقراط من جهة ، وأكاديمية أفلاطون من جهة أخرى حتى نتبين أوجه التباين فيما بينهما بصفة عامة .

كان ايسقراط يهدف من تعليمة تخريج أشخاص ذوي كفاءة عالية في الحياة المدنية والقيادة السياسية والقدرة على إتخاذ القرارات الصحيحة[3] . وكان يعتقد أن السلاح الذي يمكن أن يحقق هذا الهدف هو الريطوريقا . وكانت الريطوريقا هي حجر الزاوية في منهجه التعليمي . ومن يملكون زمام الكلمة في رأيه هم أفضل القادة السياسيين ، وهم الذين في مقدورهم أن يقودوا الدولة إلى الرفعة والتقدم[4] . والحكمة في نظره تقوم على الريطوريقا ، وبدون الريطوريقا يصعب إقناع الآخرين . ولهذا كان التعليم العالي عنده هو التدريب على القدرة لإلقاء خطبة ذات معنى ممتاز . وكانت المعرفة عنده لا تأتي

---

(١) Aeschin., 1, 173. ; A. E. Taylor, Socrates.

(٢) Marrou, A Hist. of Education in Antiquity, p. 80 ; Beck, Greek-Education, p. 254, 290.

(٣) Isocr., Panath., 30 - 2.

(٤) Isocr., Antid., 231 - 6.

في نفس مرتبة القدرة على إفهام الآخرين ، وهو بذلك يقول بأن الريطوريقا هي الفضيلة ، بينما يقول أفلاطون أن الفضيلة هي المعرفة[1] . ولكن لا ينبغي أن ننسى أن إيسقراط قد أعطى أهمية كبرى للثقافة العامة مبيناً أهميتها في خدمتهم في الحياة العامة والخاصة ، وفي تهذيب السلوك وكذلك تجعل منهم مستشارين ذوي حصافة[2] .

وكان إيسقراط يعتبر معلم الريطوريقا ناجحاً إذا كان تلامذته يصبحون رجالاً لامعين في مجتمعهم ، وإذا كثر عدد هؤلاء التلاميذ الموقرين . وكان الأجر كذلك يضطرد في نظره تصاعدياً مع نجاح المعلم[3] .

وإلى جانب الريطوريقا كانت مدرسة إيسقراط تهتم بفروع أخرى ، كفن الجدل والفلك والهندسة وما شابه ذلك . ولكنه كان ينظر إلى مثل هذه العلوم على أنها مجرد تدريب عقلي **gymnastic of the mind** يوسع إدراك الطالب ويجعله أكثر مقدرة على تناول العلوم الأخرى الجادة ، أي الخطابة[4] ، وهي أيضاً تمهد إلى دراسة فلسفية أعمق في هذه الفروع ذاتها . وهذا ما يمكن أن نسميه اشارة إلى التعليم المتوسط . وفي هذه المرحلة من التعليم المتوسط يعمل المعلم على تنمية القوة الفكرية لدى الطالب . وكان الطالب عنده يتكون على عدة عوامل هي طبيعته أي مقدرته الفطرية وموهبته ، وكذلك ظروفه المعيشية ، ثم أخيراً خبرته . أما من جانب المعلم ، فكان لا بد أن يكون قادراً على بسط كل الأسس لكل فن أمام تلاميذه ، وتدريبهم عليها[5] . وكان المعلم الناجح في نظره هو الذي يستطيع أن يؤثر عليهم بشخصيته ومقدرته ، حتى يمكنهم

---

(١) Isocr., Ag. Soph., 21 ; Isocr., Ag. Soph., 15 ; Isocr., Antid., 275 ; cf. Plato, Meno, 95 sqq. ; Isocr., Nicoles, 9.

(٢) Isocr., Antid., 201, 204, 220.

(٣) Beck, Greek Education, p. 258 sqq.

(٤) Isocr., Antid., 264 - 7.

(٥) Isocr., Ag. Soph., 14 - 15.

أن يقلدوه تقليداً صحيحاً في كل ما يقدمه لهم من نماذج تدريبية[١] .

وأما في مجال التعليم العالي ، فنجد أن إيسقراط يبرر اقتصار مثل هذا التعليم على الطبقة الممتازة اقتصادياً من الناس élite ، وهؤلاء هم الذين يدربون على القيادة[٢] .

والواقع أن التعليم العالي كان مقصوراً من الناحية العملية على طبقة الأغنياء . ولقد أعطى معظم المعلمين جل وقتهم لتعليم الأمراء . فأفلاطون خصص وقتاً كبيراً ليعلم ديونيسوس . ويقال أن كسينوفون قد علم قورش . وأرسطو علم حيرمياس في أتيرنيوس Aterneus ، ثم الاسكندر الأكبر . وإيسقراط علم نيقوكليس Nicocles وغيره من الأمراء[٣] .

وإلى جانب فنون العلوم المختلفة كالريطوريقا والهندسة والعلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية ، كانت الميثولوجيا من مواضيع التعليم في المدارس العالية[٤].

وأما منهاج إيسقراط في التعليم العالي فقد كان يقوم على النحو التالي : تعليم فن الريطوريقا على أنه فن إبداع وخلق ، ومن ثم لا بد من دراسة البلاغة . كذلك ، فإنه يرى أن الخصائص الأخلاقية للمعلم تطبع نفسها على الطالب[٥] .

استخدم إيسقراط شأنه شأن معاصريه ابتداء من السفسطائيين ، المواضيع الشعرية نثراً . وكان يرى أن هذا الاستخدام يساعد على قوة الحديث . وبطبيعة الحال كان ذلك أثراً من آثار الاعتماد كثيراً على الميثولوجيا . وكانت النتيجة أن الأحاديث كانت قريبة الشبه بالشعراء[٦] .

وكانت دراسة البلاغة وتدريب العقل تتطلبان دراسة الفلسفة . وقد أيد

---

(١) Isocr., Antid., 88 sqq.

(٢) Isocr., Areopag., 44 - 6.

(٣) Jaeger, Paid., III, p. 85.

(٤) Marrou, Hist. Educ. in Antiquity,c p. 77 ; Johnson, A note on the number of Isocrates' pupils ; Isocr.,o Panath., 1; Isocr., Busiris, 9.

(٥) Isocr., Ag. Soph., 1 sqq. ; Marrou, h.,., p. 80 sqq.

(٦) Isocr., Anid., 166; Marrou, o.c., p. 81 ; Jaeger, Paid., III, p. 98.

سقراط دراسة الفلسفة بالنسبة لطلبة التعليم العالي ، ورآها ضرورية . فالفلسفة هي التي ساعدت على اكتشاف القوانين ، واكتشاف الصواب والخطأ والعلم والجهل . وهي البحث عن الحكمة والثقافة(١) .

وكان إيسقراط هو أول من أدخل مادة التاريخ ضمن منهاج الدراسة ، ورأى ضرورة استخدامه كادة تعليمية(٢) . ومن المواد التعليمية التي ضمنها إيسقراط منهاج التعليم هي فنون الجدل والرياضة والعلوم الطبيعية وكذلك الألعاب الرياضية. وبهذا يكون إيسقراط قد جمع بين رياضة العقل ورياضة الجسم.

كانت هذه هي مدرسة إيسقراط التي أسسها عام ٣٩٠ ق.م ، فماذا كان عن أكاديمية أفلاطون ؟ كانت مراحل التعليم عند أفلاطون واضحة التقسيم وهي على النحو التالي : ا. التعليم الأساسي : وفي هذه المرحلة يدرس الأدب بمواضيع من هومروهيسيود بصفة خاصة . ويتناول ما فيها من أساطير مختلفة بحيث تخدم الهدف العام ، وهو أن يتعلم التلميذ الصواب والخطأ في هذه الأساطير وغيرها من أشكال الأدب وذلك حتى يصبح مواطناً صالحاً في المدينة الدولة(٣) . ومن مواضيع هذه المرحلة الفن والموسيقى(٤) ، لما يدخلانه من ترفيه يترك أثراً طيباً على الأخلاق . ورأى أفلاطون بضرورة دراسة الرياضيات في هذه الفترة لأنها ترفع المقدرة والكفاية(٥) . وكانت الرياضيات تدرس في المرحلة الأساسية على أنها مفيدة للمواطنين والحراس في حياتهم اليومية ، وعلى هذا الأساس تدرس الرياضة البحتة لذاتها . ولكن بالاضافة إلى هذا رأى أفلاطون بتدريسها في هذه المرحلة كنظام يوقظ قوة المقدرة الفكرية ، وتعود العقل تدريبات معينة ونظاماً معيناً(٦) ، ويعد العقل لدراسات أكثر

---

(١) Isocr., Demonicus, 3; Paneg., 47; Norlin, Plato, hoeb edition, Vol.I,p. XXVII. Beck, Greek Education, p. 277 sqq.

(٢) Lodge, Plato's theory of Education, p. 39, Taylor, Plato, p. 306.

(٣) Taylor, Plato, p. 468; Laws, 654 sqq.

(٤) Marrou, Hist. of Educ., p. 73sq.; Lodge, Plato's theory of Educ., p. 20.

(٥) Plato, Republ., 523 a; 526 b.

تعقيداً . واهتم أفلاطون في هذه المرحلة بأن تدرس الرياضة البدنية والألعاب.

أما في المرحلة الثانوية ، فكان المنهج الدراسي يحوي العلوم الرياضية والطبيعية ، ثم المواد المنهجية كالنظم والعلاقات والعادات .

وأخيراً التعليم العالي وهو يقوم على الديالكتيك الرياضي . وكان التعليم الأساسي ينتهي في سن السابعة عشر تقريباً ، ويبدأ الشاب خدمته العسكرية في التاسعة عشر أو العشرين . وأما المرحلة الثانوية أو مرحلة الرياضيات العليا فإنها تستمر من العشرين حتى الثلاثين . ومن يواصل دراسته الديالكتيكية فإنه يستغرق خمسة سنوات تقريباً . ومن سن الخامسة والثلاثين يمارس المواطن الخبرة العملية في الإدارة .

ولقد أقيمت أكاديمية أفلاطون على نظام الجماعة المتآخية التي تعيش عيشة مشتركة ، وكانت تتسم بخاصية دينية علمية مأخوذة عن الفيثاغوريين[١]. وكان هناك مشرفون في درجة عالية يشرفون على التلاميذ ، ومساعدون لهم . وعادة كان الطالب يلتحق بها من سن السابعة عشر . وكانت النساء والأجانب يلتحقون بهذه الأكاديمية[٢] .

وكانت هناك لوائح للاجتماعات كما يعين شخص كمشرف لمدة عشرة أيام[٣] يقوم بالنظام . أما عن مواد الدراسة في الأكاديمية ، فقد كانت الفلسفة هي موضوعها الرئيسي ، كما كانت علوم الرياضيات والهندسة لازمة في نظر أفلاطون للفلسفة . وكانت هناك دراسة العلوم الطبيعية والأحياء وعلوم النبات والحيوان وما وراء الطبيعة .

ولما كانت الأكاديمية ترى أن من مهامها الرئيسية هي تخريج خبراء

---

(١) K. Freeman, The pre-Socr. philosophers, p. 76.

(٢) Zeller, Plato and the older Academy, p. 551.

(٣) Zeller, o.c. p. 556; Diogen. Laert., V, 5.

في خدمة المدينة الدولةفكان لا بد أن تهتم بتخريج خبراء فيالسياسةوالقانون[١] كما كانت الأكاديمية تؤدي خدماتها لمؤسسي الدول ؛ فتقوم بناء على طلبهم بتقديم الاستشارات القانونية والسياسية والخبرات التعليمية وتدريب المواطنين . كما تدرب العاملين في الشئون القضائية .

ومع أنه معروف أن أفلاطون ، وأرسطو ، قد رفضا الريطوريقا على أنها وسيلة من وسائل الاقناع ، كما يظهر في أعمالهما المبكرة ، إلا أنه يبدو أنهما قد غيرا من أتجاههما نحوها فيما بعد . لقد كانت فايدروس بتأكيدها على النواحي النفسية في الريطوريقا تعكس هذا التحول . ويبدو أن أرسطو نفسه كان يقوم بتعليم الريطوريقا في الأكاديمية . وأسباب تحول أفلاطون إلى الريطوريقا غير واضحة . ولكن المعروف أن إيسقراط قد أسس مدرسته للريطوريقا وأن أفلاطون كان لا يوافق على الأسلوب السفسطائي الذي حمل لواءه إيسقراط في تعليم الريطوريقا . ونعرف أيضاً أن ثيوديكتوس ، الذي كان تلميذ إيسقراط من قبل والذي كان أيضاً خطيباً ، قد انضم إلى الأكاديمية فيما بعد . وربما أن هذان السببان هما اللذان أديا إلى هذا التحول[٢] . ولعل محاورة مينيكسينوس ، والتي تؤرخ بعام ٣٨٧ أو ٣٨٦ ق.م ، أي بداية إنشاء الأكاديمية إنما تنهض دليلاً على أن التحول إلى الريطوريقا قد جاء قبل الفترة التي يشار إليها ، ذلك أن محاورة فايدروس تلي مينيسكينوس تاريخياً . أغلب الظن أن تحول أفلاطون إلى الريطوريقا قد كان أثراً من آثار اعدام سقراط ، وأن هذا الاتجاه يدخل ضمن الاطار العام لموقف أفلاطون من السفسطائيين . ولعل فن الريطوريقا كعلم دخل الأكاديمية قد جعل دراسة الأدب[٣] واللغة[٤] وفن الحوار ، وكذلك جميع الفنون التي تقوم عليها الريطوريقا ضرورية .

(١) Farrington, Greek Science, p. 100; Field, Plato, p. 44; Marrou, Hist. of Education, p. 64.

(٢) Webster, Art and Literature in 4th cent. Athens, p. 59 sqq.

(٣) عن الأدب : Plato, Sophist

(٤) عن اللغة : Plato, Cratylus.

كيف ينظر أفلاطون وإيسقراط

إلى الريطوريقـــا

يقول أفلاطون في محاورة جورجياس : « لا تبدو الريطوريقا فناً من فنون الاقناع على الاطلاق ، ولكن هذا من خصائص الروح الذكية النشطة التي هي بطبيعة الحال ماهرة في التعامل مع الناس[1] » . ويعتبر البعض أن قول أفلاطون هو هذا إنما هو سخرية من تزكية إيسقراط للريطوريقا في فقرة من مقطوعته « ضد السفسطائيين » حيث يقول : « إن هذه الأشياء ، في اعتقادي ، تتطلب دراسة وافية وهي من مهام الروح الذكية النشطة[2] » .

ويبدو أن أفلاطون كان يتمثل في ذهنه صورة القرن الرابع وتعاليم السفسطائيين في الريطوريقا . فكثير من السفسطائيين ، أو كلهم ، كان يمارس مهنة تعليم الخطابة دون أن يكون هو نفسه قد مارس أنواع الخطابة ، كالخطابة القضائية والسياسية والتعليمية وغيرها . وفي هذا المجال يمكننا أن نتمثل قول أرسطو : « إن المنهج التعليمي لأولئك الذين يعلمون فن الخطابة القضائية من أجل الأجر إنما يشبه نظام جورجياس . لقد كان هو وزملاؤه يعدون الأحاديث الريطوريقية كي تحفظ عن ظهر قلب ، وكان معلمو الخطب

(١) Plato, Gorgias, 463 a.

(٢) Isocr., Ag. Soph., 17.

القضائية يدبجونها على شكل سؤال وجواب . والسائد هو أن مثل هذه الأحاديث كانت تشتمل على الحوار بين طرفي النزاع . ونتيجة لذلك كان التعليم سريعاً ، ولكنه غير منظم . واعتقد المعلمون أنهم يستطيعون أن يعلموا (تلاميذهم) ليس الفن ، وإنما نتائج الأدب ، كمن يدعي المعرفة بمنع القذى عن القدم ولا يعلم صناعة الأحذية ولا كيف يخرج الحذاء المناسب ، بل يعرض أنواع عديدة من أطقم الاقدام . مثل هذا المعلم يأتي ليسد حاجة عملية لا يعلم فناً[١] ». ولكي تكتمل الصورة نورد هنا تعليق شيشرون ، إذ يقول أن السفسطائيين كانوا يستخدمون المواضيع المعتادة communes loci في كل خطاب يدبجونه أو يلقونه، وأنهم يعتمدون في إطالة الحديث على مثل هذه المواضيع . وعندما يبغون تأييد موضوع يشنون عليه مديحاً ، وعندما يودون اضعافه يكيلون له مر النقد[٢] . إذن فالموضوع الريطوريقي يقوم عادة على ثلاث قوائم ؛ الموضوعات العامة ، وبواسطتها يطيل الخطيب موضوع خطابه إلى الطول الذي يوده[٣] ، ثم المدائح أو النقد أو ما شابه ذلك ، وأخيراً الموضوع الرئيسي للخطبة وهذا يأتي حسب المناسبة .

وفي محاورة يوثيديموس Euthydemus ، يشير كريتون إلى أحد ناقدي الفلاسفة الذي لم يكن سياسياً كما لم يتحدث أبداً في دور القضاء ، ولكنه كان خبيراً في كتابة الأحاديث للمتنازعين . ومثل هؤلاء الأشخاص يستبعدهم سقراط من دائرة الفلسفة والسياسة كما يصفهم بأنهم يحقدون على الفلاسفة[٤]. والراجح أن الاشارة مقصود بها إيسقراط ، وعلى الأخص في الفترة الأولى من حياته[٥] .

---

(١) Aristotle, Sophistical refutations, 183 b 36 sqq.

(٢) Cicero, Brutus, 46 sqq.

(٣) Isocr., Ag. Soph., 12.

(٤) Plato, Euthydemus, 304 b - 306 d.

(٥) G. G. Field, Plato, p. 193 ; Cf. A. E. Taylor, Plato, p. 101.

كانت هذه هي نظرة أفلاطون إلى الريطوريقا في الفترة الأولى . ويمكننا القول ، مما سبق ، أن أفلاطون كان يعتقد أن فن الاقناع يأتي من جوهر المعرفة الحقة لأي موضوع سواء كان سياسياً أو قانونياً أو غير ذلك ، ومن ثم كانت له تعليقات كثيرة على الريطوريقا .

إما إيسقراط فقد ظل يعتبر أن الريطوريقا تفوق كل أنواع المعرفة . ففي فقرة من Antidosis نجده يقول بأن ذلك الذي يبتكر حديثاً إنما يفوق في القدر ذلك الذي يقضي وقته مع وضع مواد القانون ، وهو عمل صعب يتطلب مجهوداً وعقلا غير عاديين[١] وفي موضع آخر يقول إيسقراط أنه يعلم فن الحديث الذي يعرفه جميع الناس وينفعهم في حياتهم اليومية ، وهذا أفضل مما يفعله أولئك الذين يعلمون الحكمة والفضيلة اللتان لا يعرفهما الكثير من الناس[٢] . ولعل إيسقراط قد كتب مثل هذه العبارات رداً على نقد وجه إلى تعليمه[٣] .

لقد كان كل من أفلاطون وإيسقراط يختلف مع الآخر حول نظرته إلى الريطوريقا . ولكن هذا الاختلاف ، الذي يبدو أنه كان حاداً في أول عهد الأكاديمية والمدرسة ، قد خفت حدته فيما بعد . فنجد أن إيسقراط يعترف ويقدر تعليم أفلاطون عندما يقول : « أعتقد أن أولئك المعلمين المهرة في فنون الجدال ، وأولئك الذين يشتغلون بالدراسات الفلكية والهندسية لا يسببون أضراراً ، بل على العكس ، يفيدون تلاميذهم ، ليس بقدر ما يريدون فقط ، بل أكثر مما يعهد به الآخرون إليهم »[٤] . ولعلنا نغمط إيسقراط حقه إذا قلنا أنه كان لا يقدر العلوم الأخرى حق قدرها . لا شك في ذلك ومنهاج مدرسته يبين هذا ، ولكن الريطوريقا كانت تحتل عنده المكانة الأولى ،

---

(١) ربما أنه يشير إلى أفلاطون عندما كان يكتب « القوانين » Isocr., Antid., 81.

(٢) Isocr., Antid., 84.

(٣) Webster, Art and Lit. in 4th Cent. Athens, p. 59.

(٤) Isocr., Antid., 261.

وهو بهذا يسير على نهج السفسطائيين ، وكانت قيمة الفلسفة في نظره أنها إعداد لدراسة الريطوريقا[١] .

كان أفلاطون ، ولا شك ، يدرك قوة الخطابة كما كان واعياً للدور الهام الذي تلعبه في حياة المدينة . ولكنه كان يرى أنها عندما توضع في الصورة التي يصورها بها السفسطائيون على أنها مجرد مهارة يمارسها الناس الذين لا يملكون ناصية الفضيلة = المعرفة ، فإنها عندئذ تخلق مجموعة من الناس يدعون أنهم على معرفة أكثر من أولئك الذين هم على علم بحق . فيقول أفلاطون في محاورة « جورجياس » : « ليست هناك حاجة للريطوريقا ، على الاطلاق ، لكي نعرف الحقائق ، إذ أنها تهدف إلى وسائل الاقناع التي تجعل الجهلاء يتصورون أنهم يعرفون أكثر ممن يعرفون حقاً »[٢] . فأفلاطون لا يرى أن الريطوريقا فن ، ولكنها استعراض للمهارة ؛ كما يرى أنها ليست علمية ، فهي تبتكر مفاهيم عن العدالة والظلم ، ولكنها غير قادرة على أن تقدم تعاليم عن العدالة ، وفضلاً عن ذلك فإنها سلبية من الناحية الأخلاقية[٣] .

ولكن مع ذلك لا ينبغي أن نقول بأن أفلاطون كان هجومياً على الريطوريقا في حد ذاتها ، وإنما كان يهاجم أسلوب تعليم الريطوريقا الذي نشره السفسطائيون إنه لم يكن بمعزلة عن أحداث عصره وإنما كان يعيش هذه الأحداث . وكان السفسطائيون ظاهرة بارزة في أواخر القرن الخامس وكل القرن الرابع تقريباً . وكان السفسطائيون ، مع كل ما كان لهم من فضل على النواحي التعليمية ، ظاهرة يمكن القول بأنها مشوشة ، لدرجة أن إيسقراط ، وهو الذي واصل رسالة جورجياس[٤] ، إن صح القول ، قد كتب حديثاً يسمى « ضد

---

(١) R. Johnson, Isocrates' methods of teaching, A.J.P. Vol. XXX, 1, No. 317, p. 27 sq; Beck, Greek Education, p. 296 .

(٢) Plato, Gorgias, 459 b-c.

(٣) Plato, Gorgias, 455 a; 465 a.

(٤) = Jaeger, Paid., Vol. III, Ch. 2, p. 49; Beck, Greek Educ., p. 253 sq.

(٥)

السفسطائيين[1] » فعدد لا بأس به قد درس على السفسطائيين ثم درس على سقراط ، مثل أنتستاس الأثيني (٤٤٤ – ٣٦٨ ق.م) ، وأريستيبوس القوريني (٤٣٥ – ٢٦٦ ق.م) ، وكذلك إيسقراط . وعندما نفحص انتاج إيسقراط وأسلوب حياته ، على سبيل المثال ، نجد أنه لم يأخذ عن سقراط إلا أسلوب الحياة أما إنتاجه فمعظمة يعكس تعليم جورجياس . ولما كان أفلاطون يؤمن بقوة الخطابة ، فإنــه في محـــاورة « جورجياس » التي هاجم فيها أسلوب السفسطائيين في الريطوريقا قد رسم صورة لإمكان قيام فن ريطوريقي حقيقي ، إذ يقول : « إن مثل هذه الصفات سوف يضعها الفنان الأخلاقي ، الخطيب الحق ، نصب عينيه عندما يخاطب نفوس الرجال بأي حديث ؛ فعندما يتحدث إلى قلوب الرجال لسوف يوائم تماماً بين كل حديث وبين تصرفاته . وعندما يخلع تكريماً على شخص ما أو يحجبه عنه ، فعليه أن يضع أمام عينيه ويقرر الهدف الآتي : أن يزرع روح العدالة في نفس مواطنيه وأن يعمل على محو الظلم منها ، أن يزرع فيها ضبط النفس ويقتلع منها التهور ، أن يدخل إليها الفضيلة ويخرج منها الرذيلة [2] » . وفي موضع آخر يقول أفلاطون أن الريطوريقا فن يتطلب فيمن يمارسه تعليماً جيداً ، وعلى الأخص في العلوم الطبيعية ، ولما كان هدفها هو اكتساب نفوس الناس ؛ يصبح على الخطباء أن يدرسوا نفوس الناس ، أي علم النفس[3] . وعلى ذلك فإن محاورة فايدروس قد تكون نقطة تحول في نظرة أفلاطون إلى الريطوريقا كفن تعليمي . وهو يقترح فيها دراسة كل نوع من الخطابة على حدة ودراسة الأشخاص الذين ستلقى على مسامعهم الخطبة ، فنعرفهم معرفة تامة الكثير عن أخلاقياتهم وحياتهم . وعلى ذلك يجب أن يكون الخطيب على دراية بكل

= ويقول Marrou, Hist. Educ., p. 82 أن ايسقراط درس على بروديكوس Prodikos وعنه ، إلى جانب جورجياس ، أخذ الاهتمام بالريطوريقا .

(١) Beck, Greek Educ., p. 272 sq.

(٢) Plato, Gorgias, 504 d.

(٣) Plato, Phaedrus, 271 - 2.

هذه الأمور بالإضافة إلى التعمق في فنه وألا يقتصر على مجرد ترديد العبارات التي تعلمها من مدرسة . يجب أن يتعلم الخطيب كيف يختار الأسلوب المناسب لكل موقف ، والوقت المناسب لكل حديث .

ومن محاورة فايدروس نفهم أن أفلاطون قد وضع الأسس النظرية لتعليم ممارسة الريطوريقا في الأكاديمية . والمعروف أن محاورة فايدروس قد كتبت في عام ٣٥٩ ق.م ، وأن الأكاديمية قد أسست في عام ٣٨٧ ق.م . فمتى بدأت الأكاديمية تتجه نحو تعليم الريطوريقا ؟ يرتبط تحول الأكاديمية نحو تعليم الريطوريقا في الواقع بوصول أرسطو إليها في عام ٣٦٧ ق.م وفي ذهنه اهتمامات بدراسة الريطوريقا ، وكذلك بوصول ثيوديكتوس الذي انضم إلى الأكاديمية في نفس الوقت الذي وصل فيه أرسطو . وقد كان ثيوديكتوس هذا خطيباً وتراجيديا ، كما كان تلميذاً لإيسقراط[١] . ولكن هذا التغير يغري إلى وصول ثيوديكتوس إلى الأكاديمية في المقام الأول . ولكن يقال أن أرسطو هو الذي جمع المادة عن الريطوريقيين القدامى ، والتي كانت الأساس لمحاورة فايدروس ، وأنه هو الذي قام بتعليم الريطوريقا العملية في الأكاديمية[٢] . وجملة القول أن إنضمام ثيوديكتوس ووصول أرسطو إلى الأكاديمية ، ثم ظهور محاورة فايدروس ، كان نقطة تحول الأكاديمية إلى إلى تدريس الريطوريقا والاعتراف بها كفن ضمن منهاج الدراسة في الأكاديمية ولكن تاريخ حديث ايسقراط المسمى « خطاب إلى أبناء ياسون » في عام ٣٥٩ ق.م أيضاً ، وهو يحمل نفس اتجاه محاورة فايدروس قد يجعلنا نقول أن تحول الأكاديمية إلى الريطوريقا كان راجعاً إلى حد ما لنفوذ إيسقراط[٣] .

---

(١) Webster, Art and Literature in 4th cent. Athens, p. 61.

(٢) Webster, id., p. 59 - 60.

(٣) Beck, Greek Education, p. 299; Marrou, Hist. Educat., p. 91.

دراسة لمحاورة مينيكسينوس (أو عن الخطابة)

هذه إحدى محاورات الفيلسوف الاغريقي أفلاطون . هذا الفيلسوف تلميذ أعظم الفلاسفة سقراط قد أثرى الفكر الإنساني بما لا غنى عنه في السياسة والفلسفة والأخلاق والأدب . وإنه لمن الواضح أن أفلاطون قد تأثر كثيراً بما أحاط بوطنه أثينا من متاعب على أثر أحداث الحروب البلوبونيزية وما حل بأثينا من وباء الطاعون وكذلك الكوارث التي حلت بالاسطول الأثيني في حملتيه إلى مصر وصقلية . لقد عاش أفلاطون ، ومن قبله سقراط ، أحداث بلاده بحاسة المفكر ذي الحس المرهف والعقل الراجح ، كانت أثينا قد شربت الكأس حتى الثمالة ، امبراطوريتها ذهبت أدراج الرياح ، وأسوارها رمز حصانتها قد تهدمت وعزتها قد خضعت للهوان ، وأسطولها رمز قوتها قد تحطم عن آخره في موقعة آيجو سبوتامي عام ٤٠٥ ق.م ، والطاعون يصرع الناس بغتة ، وتتكدس الجثث لتتعفن دون تكريم أو طقوس دينية . لا أمل في عزة وطنية ولا اطمئنان لأن يبقى الأثيني حياً ليوم جديد . أصبح الأثيني محاصر بين هموم وطنه وبين حشرجات مرضى الطاعون . وتجلى هذا عن انهيار المدنية الأثينية وتحلل للشخصية الأثينية . لقد أخذت قيم جيل الحروب الفارسية الكبرى في السقوط . وفي وسط هذه الظروف عاش أفلاطون ومن هذه الظروف نبعت أفكاره التي كان يهدف بها إنقاذ الوطن الإغريقي . والذين يربطون بين ما كتب أفلاطون وبين قسوة ظروف أمته في ذلك الوقت سوف يدركون أن هذا الفيلسوف لم يكن يعيش هذه الأزمات فقط بل كان مصلحاً عظيماً أيضاً وحاول أن يبني أولاً وقبل كل شيء الذات الإنسانية الاغريقية التي كانت تعاني أشد حالات الانهيار .

وإذا كان هذا الفيلسوف قد حطم برجه العاجي وخاض تجربة أمته وأعطانا خلاصة هذه التجربة وذلك كي نختار بين الصواب والخطأ دون حاجتنا إلى خوض غمار نفس التجربة مرة أخرى ، فإنه يكون من واجبنا

أن نتمثل هذه التجربة كواقع حي لأشخاص أحياء عاشوا وناضلوا وأحسوا وجربوا ، وأن نقارن أحداث هذه التجربة بما يناظرها في عصرنا ، وألا ندخل أحداث هذه التجربة في ذمة القدم التاريخي وإلا انعدمت فوائدها . ألا يمكن أن نقول أن الإنسان الأثيني قد عاش في أعقاب الحروب البلوبونيزية ما عاشه المواطن الانجليزي بعد حرب السويس وفقدان المستعمرات ؟ أو الإنسان الالماني بعد الحرب العالمية ؟ أو ما شابه ذلك من أوجه المقارنة ؟

ولست هنا بصدد تناول موضوع كبير من محاورات أفلاطون ، وإنما أتناول محاورة من محاوراته الصغرى وهي محاورة مينيكسينوس . هذه المحاورة الأفلاطونية قليلة التداول بين أيدي دارسي أفلاطون بشكل عام ، ولكني أعرضها هنا لسببين ؛ أولهما ، لأنها تتناول موضوع أدبي الشكل وهو الخطابة ويجدر بنا أن نستمع لأفلاطون حول هذا الموضوع . وثانيهما ، لأن أفلاطون يقدم لنا نفسه هنا في الصورة التي نبحث عنها لهذا الفيلسوف وهي صورة المصلح الذي يحاول أن يعيد بناء الشخصية الأثينية بعد ما أصابها من النكبات . وإذا كان أفلاطون قد حاول أن يرسم صورة للدولة المثالية في « الجمهورية » و « القوانين » ، فإنه قد حاول أن يرسم صورة للإنسان المثالي في إيوطيفرون Buthyphro ، والدفاع ، وكريتون ومينيكسينوس وغيرهما . والذين تصوروا غير ذلك واعتقدوا بأن أفلاطون كان أكاديمياً بحتاً أو فيلسوفاً خيالياً ، إنما هم لا يدركون الواقع الذي أحاط بأفلاطون . لعلنا لا نبالغ إذ قلنا أنه لم تكن هناك أثينا بعد الحروب البلوبونيزية ، كما لم تكن هناك الشخصية الأثينية التي كانت تعتبر واعدة في ذلك الوقت . كانت الحضارة الهلينية قد أخذت طريقها للسقوط بلا عودة ، وحاول أفلاطون ما وسعه الجهد أن يعود بها لأيام مجدها ، وكانت وسيلته هي الدعوة لهذه الدولة وهذا الإنسان الذين يصورهما في كتاباته .

يشير أرسطو[١] إلى هذه المحاورة مما يؤكد أنها محاورة أفلاطونية ولا شك . ويتناول أفلاطون فيها أسلوب « الخطبة الجنائزية » التي سوف تلقى في تأبين من سقطوا صرعى في الحرب الكورنثية . وعلى طريقة سقراط المعروفة يتظاهر بأنه قد سمع خطبة جنائزية من أسباسيا ، زوجة بركليس الزعيم الأثيني ، ويبدي اعجابه الكبير بهذه الخطبة . ولكن هناك عدة نقاط تحتاج إلى تفسير . كيف يمكن أن يأتي حديث على لسان سقراط عن الحرب الكورنثية التي بدأت في عام ٣٩٥ ق.م بينما أعدم سقراط نفسه في عام ٣٩٩ ق.م ؟ وكيف تقول أسباسيا خطاباً عن ضحايا هذه الحرب بينما هي كانت قد ماتت قبل سقراط ؟ يقترح تيلر[٢] أن هذا الانفصال التاريخي لم يكن غير مقصوداً وأن أفلاطون كان أقدر التلاميذ على المغامرة به . كما أنه ليس هناك دليل على أن هذه المحاورة ليست أفلاطونية[٣] . إذن يكون من المرجح أن أفلاطون قد استباح الترتيب التاريخي عن وعي بقصد اظهار عيب ما . ولكن ما هو القصد من وراء ذلك ؟

ليس هناك من سبب قوي يدعونا لأن نفترض أن الموضوع كله مزاح أريستوفاني ، وأن أفلاطون كان يقصد فقط أن يظهر مقدرته على منافسة الكوميديين وذلك بأن وضع تلميحات ساخرة على لسان أبطاله . كما أننا نجد أنه من الصعب أن نوفق بين مثل هذا الاستخدام لسقراط بقصد الهزل المجرد وبين لهجة الاحترام والجدية التي استمر أفلاطون يذكرها عن سقراط في كتاباته وخطاباته حتى نهاية حياته . وحتى إذا كان ذلك هو ما قصده أفلاطون ، فإنه ينبغي أن نتذكر أنه قد استخدم سقراط ، حتى لو كان الأمر لمجرد الهزل ، كي يقدم لنا تنبؤاً ذكياً لمجرى الأحداث ، ذلك أن سقراط يظهر وهو يعلق على أحداث استمرت اثني عشر أو ثلاثة عشر عاماً

(١) Aristotle, Rhetoric 1415 b 30.

(٢) A. E. Tylor, Plato the man and his work, p. 13.

(٣) Aristotle, Rhetoric, 1367 b 8; 1415 b 30.

عقب وفاته ويقدم فيها وجهة نظر . كما أنه لا زال أمامنا أن نعلل لماذا تظاهر سقراط بأن أسباسيا كانت لا تزال شخصية شهيرة في أثينا وأنه قد تعلم هذه الخطبة على يديها ، وليس من السهل تفسير استخدامه لأسباسيا على هذا النحو بأن نشير إلى تلك الفقرة[1] التي يرجع فيها سقراط تأليف الخطبة الشهيرة التي ألقاها بركليس في العام الأول من الحرب الأرخيدامية إلى أسباسيا ، تلك الخطبة التي تحدث عنها أيضاً ثوكيديديز . ومن المرجح أنه لم يكن من أهداف أفلاطون أن يسخر من هذا النوع من الخطابة باللمز أو تلميحاً بأن يوحي إلى المستمع بأن لهجة وأسلوب مثل هذا الحديث إنما هو الشيء الذي يمكن أن يتوقعه الإنسان من إمرأة ورفيقه . ومما يؤكد ذلك أن ما نعرفه من موضوع Aspasia of Aeschines of Sphettus [2] إنما يؤكد بأن وجهة النظر الواردة في الكتاب الخامس من الجمهورية والقائلة بأن « الخير يتساوى عند الرجل والمرأة » إنما هي نظرية سقراطية بحتة ، وبأن سقراط كان يؤمن « بالمقدرة السياسية » عند أسباسيا . إن اعترافه بأنه يدين « بخطبته الجنائزية » إليها هو بلا شك نصف مزاح ولكنه يتطابق تماماً مع ما نعرفه عن عقيدته .

وعندما نقوم بتحليل هذه الخطبة نجد أن هناك نقاطاً يجب أن نتذكرها دائماً ، منها أن هذا الحديث يقوم على سطور يمكن أن نرى ما فيها وذلك بمقارنتها بأمثلة أخرى . فهذه الخطبة تتناول أولا ما ورثه هذا المجتمع من مجد لامع والتقاليد السائدة في هذا المجتمع الذي سينشأ فيه محاربو المستقبل والذي فيه يترعرعون . كما يتحدث بعد ذلك عن منجزاتهم التي قد برهنوا بمقتضاها على أنهم جديرون بهذا الأصل عندما قدموا أنفسهم قرباناً للوطن . وينتقل الحديث بعد ذلك إلى سرد الاعتبارات التي تخفف من أحزان أصدقائهم وأقاربهم الذين ظلوا على قيد الحياة بعد استشهاد هؤلاء الأبطال . وفي هذا المجال تعرض لنا هذه الخطبة نموذجاً قريب الشبه مع حديث بركليس الوارد

---

(١) Plato, Menexenus, 236 b.

(٢) H. Dittmar, Aeschines von Sphettus, pp. 45 - 56.

في خطبته الجنائزية كما يسرده ثوكيديديس ، وكذلك الخطبة الجنائزية التي تصلنا من بين أعمال ليسياس ، وما يقوله إيسقراط[١] وحديث هبيريديس عن ليوسثنيس Leosthenes ورفاقه في الحرب اللامية Lamian War . ويمكن القول بأن هناك صدى فعلي مباشر لحديث ليسياس وربما أيضاً حديث بركليس . ولكن هناك شك في وجود صدى مباشر لحديث إيسقراط ذلك الحديث الذي جاء في عام ٣٨٠ ق.م . والأسلوب الذي استخدم في الخطبة التي يقدمها سقراط يسير على نهج ما يستخدم عادة في مديح من يسقطون في المعارك شهداء للوطن ، الأمر الذي يجعل من العسير بل من المستحيل أن نستخدم الأسلوب كدليل على تأريخ هذه المحاورة . وتنتمي « الخطب الجنائزية » إلى ذلك النوع الخطابي الذي يسميه الاغريق بالنوع « المنمق » ، وهو يتطلب مقدرة فنية من ناحية الأسلوب واستخدام المحسنات البديعية ، الأمر الذي يجب تجنبه في المرافعات القضائية والأحاديث السياسية . ومن ثم فإن كل النماذج المعروفة لدينا تقدم بدرجة ما ، تتراوح ارتفاعاً أو انخفاضاً ، أمثلة تتشابه مع الخطابة الحماسية الصقلية التي تتميز ببلاغتها الرفيعة التي تصل إلى الشعر ، ذلك النوع الذي يقال أن جورجياس قد جلبه إلى أثينا[٢] . ولقد ظل أفلاطون حريصاً على اظهار هذه الخواص في كتاباته . وعندما نفحص محتويات حديث سقراط نجد أنه كان دائم الانتباه إلى أن يجعل أسلوب محاوراته متمشياً مع الشكل السائد المقبول . لقد كانت خطبته تشبه خطب ليسياس وإيسقراط ، لكنها لا تتشابه مع حديث بركليس السياسي . وكانت تسير مع الموضوعات التي تحدثت بها الميثولوجيا في تمجيد الأثينيين ، وتأصل زراعة القمح والزيتون في أتيكا ، والصراع بين الإلهة أثينا وهيفايستوس حول رعاية مدينة أثينا ،

(١) Isocrates, Panegyricus.

(٢) عبد الرحمن بدوي، الفلسفة القورنيائية ، ص ٢٨ . ولكن هذا لا يعني أن جورجياس كان أول من نشر هذا النمط في أثينا في عام ٤٢٧ ق.م. والواقع أنه كان منتشراً في بعض الاتجاهات الريطوريقية من قبل ولكن كان جورجياس أول من لفت الأنظار إليه . انظر
G. Kennedy, the Art of Persuation in Greece, p. 47.

والروح العامة السائدة وطبيعة الفروسية الّتي تظهر في الأساطير مثل حماية أسرة هيراكليس ، وحماية أجساد الأبطال الذين سقطوا صرعى عند أبواب طيبة ومباشرة طقوس دفنها إكراماً لها . ولقد أطنب كل من ليسياس وإيسقراط وأسهب في تناوله الأحداث الّتي تتعلق بالفترة القبل تاريخية ، وكان إسهابهم بشكل واضح وربما مبالغ فيه حتّى إن سقراط قد تهكم عليهم بقوله بأنهما قد نالا جزاءها من الشهرة على حساب الشعراء[1] . وتستطرد الخطبة ، مثلها مثل شبيهاتها ، إلى تصوير تاريخ أثينا حتّى عصر أفلاطون . وكان الموضوع الرئيسي المتعلق بتاريخ أثينا كما تناوله خطاب سقراط هو تمجيد هذه المدينة بناء على نقطتين هما ، كراهيتها القديمة والمتأصلة للبرابرة[2] . وفي هذا الموضع ينبغي أن ننبه الأذهان أن هذه الكراهية لم تكن قائمة على أساس عنصري إنما على أساس نظرة الاغريق إلى الجانب الحضاري والسياسي ، ذلك أن الاغريق كانوا ينظرون إلى حضارتهم على أنها الأكثر سمواً وإلى أنظمتهم السياسية على أنها الأرقى بديمقراطيتها ، أي أن هذه النظرة كانت نظرة مقارنة واعتزاز أكثر منها نظرة حقد أو كراهية عمياء . لعل الإنسان الحديث يدرك تمام الإدراك أن مثل هذا الاتجاه يكون ضروري عند الحاجة لإزكاء الروح القومية في أفراد شعب يحتاج بل وهو مطالب باستعادة أمجاده الغابرة . وهذا ما نعرف أن سقراط وأفلاطون قد سعيا وراءه . ولقد كانت النقطة الثانية التي بنى عليها سقراط حديثه في تمجيد أثينا هي صفتها البانهلينية (أي الهلينية العالمية) التي لا تتصف بالأنانية كما ظهر في استعدادها الدائم للتضحية للمحافظة على توازن القوى بين المدن اليونانية المختلفة وذلك بتأييدها للجانب الضعيف في المنازعات الداخلية[3] . والواقع أن تفسير هذه النقطة الثانية بوجه خاص يقود إلى زيف تاريخي جريء حيث تظهر محاولات أثينا في القرن الخامس

---

(١) Plato, Menexenus, 239 b.

(٢) Plato, Menexenus, 242 c - e - 245 d.

(٣) Plato, Menexenus, 244 c.

للسيطرة على بيوتيا وكذلك الحرب الأرخيدامية نفسها التي كانت تظهر ككفاح ضد استعمار مجتمعات أخرى . ولعله مما يؤكد هذا الزيف التاريخي ، ما تلى قيام حلف ديلوس من أحداث وقيام الامبراطورية الأثينية بالقهر والقوة ثم الحروب التي سبقت الحروب البلوبونيزية ، تلك الأحداث المعروفة جيداً . ونحن نعرف من أفلاطون الكثير عن عواطفه هو نفسه وعواطف سقراط ومدى نظرتهما للفرد والدولة والسلطة والقانون حتى أنه يمكننا أن ندرك أن هذا التفسير التاريخي لا يمثل حكماً جاداً لأي منهما ؛ ولكن المرجح أن هذه الخطبة تتسم في هذا الموضع بالتهكم على التأويل الوطني للتاريخ كما يقدمه إيسقراط في رابطة غير ثابتة مع البانهلينزم Panhellenism . وفي نفس الوقت فإننا عندما نقرأ محاورات جورجياس والجمهورية وهيكل التاريخ الأثيني الذي يظهر في القوانين[1] ، فسوف نجد أنه من المستحيل أن نأخذ محاورة مينيكسينوس Menexenus مأخذ الجد عندما تمجد الدستور الأثيني القائم كأرستقراطية حقيقية يحكم فيها مشاهير الرجال (The best) طبقاً لموافقة العامة الحرة[2] . وعندما يخبرنا بأنه في أثينا ، وليس في أي مكان آخر : « أن كل شخص مشهور بحكمته وطيبته يحكم » ، فإن التركيز كان مقصوداً به الكلمات « كل شخص مشهور »، بينما المديح لم يكن سوى تهكم خفي . ومن المحتمل أن الغرض الحقيقي الذي كان سقراط يسعى وراءه من حديثه هو تقليد « الخطب الوطنية » والتهكم منها بإشارات ذكية وتلميحات ماهرة وسخرية لاذعة مستترة عندما تأخذ وتيرة واحدة كما لو كانت قد أصبحت تراثاً شعبياً ثابتاً[3] . وقد يكون هذا التفسير الأخير مقبولا إذا قلنا حقاً بأن هذه الخطبة تحوي صفحات نبيلة عن الواجب الوطني والاستعداد للتضحية من أجل الوطن وضرورة المحافظة على تقاليده الطيبة ، إذ أنه حتى ذلك الشخص

---

(١) Plato, Laws, III

(٢) Plato, Menexenus, 238 d - e.

(٣) Plato, Protagoras.

الذي يجعل من التاريخ كله أسطورة عاطفية من التمجيد الوطني تكون لديه عادة بعض الأسباب الطيبة والرديئة المتعلقة بوطنيته . وفي هذا الخصوص يجب أن نعتقد بأن السخرية تفقد تأثيرها ما لم تكن مصحوبة باعتراف ذكي للأشياء الطيبة التي تحدث وتختلط بالأشياء الرديئة . والمعروف عادة أن الكتابة تثير الملل عند قارئها عندما تسير على وتيرة واحدة .

وإذا كان إيسقراط هو الشخص المقصود بالتهكم في محاورة مينيكسينوس فإنه يكون لدينا سبباً وجيهاً لوجود مثل هذا التهكم مختلطاً بالعطف . لقد كان إيسقراط يتميز بدقته واهتمامه البالغ بالحضارة الاغريقية ككل ، وهو في هذا يتفق مع أفلاطون . ولكنه كان يختلف مع أفلاطون في النظرة إلى البرابرة . لقد كان أفلاطون يعتبر التمييز الجاف ، أي القائم على شكل عنصري في غالبيته ، بين الاغريقي والبربري (أي الأجنبي غير الاغريقي) خرافة غير علمية . أما إيسقراط فقد اعتبر الفارق بينهما أمراً خطيراً وكان يميل إلى الاعتقاد بأن كراهية البرابرة مساوية لحب الحضارة . والربط بين وجهتي النظر في محاورة مينيكسينوس إن هو إلا تمثيل واضح لمذهب أفلاطون الكبير فيما يختص بالأحوال العامة . ولذلك فإن تأويل التاريخ واعتبار أعنف أفعال الاستعمار الأتيكي ، مثل محاولة بركليس وأصدقائه السيطرة على بيوتيا وكذلك الحرب الأرخيدامية ، على أنها «حروب تحرير» لا يمكن أن نأخذه على أنه هزل جاد بالنسبة لأسلوب إيسقراط عندما كان قلقاً كما هو الحال في **Panegyricus** وذلك عندما كان يريد أن يثير كراهية أثينا نحو اسبرطة . وربما يساورنا الشك بأن هذا كان الغرض نفسه من ذلك التأكيد المزيف الذي يظهر في مينيكسينوس حول الحملة البحرية التي قامت بها أثينا في الحملة الصقلية كمحاولة للتحرر من المقهورين . ولقد اعتبر إيسقراط حملة أثينا البحرية هذه كارثة وطنية ، إذ أنها أدت إلى انهيار الامبراطورية أو بالأحرى كانت احدى الأسباب القوية لهذا الانهيار . وهناك مواضع شتى في القوانين تشير إلى أن أفلاطون كان متعاطفاً مع هذا الاعتقاد .

ولسوف يكون الأمر كنقد سخيف إذا استخدم التاريخ ليبين أنه من السهل أن يستغل لتمجيد جانب التاريخ الأثيني ، فذلك لم يقنع حتى إيسقراط نفسه . وعلينا فقط أن نأخذ الأمور ببساطة كما يفعل إيسقراط عندما يريد أن يمدح أو يذم شخصاً . إننا إذا سايرنا أسلوب التأكيد المزيف هذا يمكن أن نتمثل في ألكيباديس بطلاً يؤدي واجبه نحو المهزومين عندما أغوى أثينا إلى هلاكها بمشروعه في غزو صقلية[1] . فإذا قرأنا محاورة مينيكسينوس في هذا الضوء ربما أمكننا أن نفهم هذا الانفصال الغريب في تكوينها . إن السخرية من « الخطب الجنائزية » التقليدية ليختلط بصورة ماكرة بالتقدير المتعاطف لدرجة أنه من السهل أن نعتقد خطأ بأن الحديث كله ثناء جاد ، ذلك الخطأ الذي وقع فيه عدد كبير من المفسرين المجيدين لأفلاطون . وإن القارىء ليحتاج إلى إشارة تحذير واضحة عندما يطالع هذه المحاورة وفي إدراكه بأن هدفها تهكمي . ولقد كان التحذير واضحاً للقارىء الذكي ، وذلك عندما قدم أفلاطون شخصية سقراط بشكل عجيب في تاريخ يأتي عقب وفاته . إن هذا التحذير يأتي كما لو كان أفلاطون يخبرنا في كلمات عديدة بأن نتعامل مع كلمات تخرج من فم دمية لا علاقة لها بذلك الرجل العظيم الذي كانت معظم المحاورات تحية رائعة لذكراه . ومع ذلك فإن هذه الرواية الخيالية فريدة ، ومن الصعب أن ندركها ما لم نتحقق من وجود ذلك المزاح الطلق في أفلاطون نفسه ، والذي يظهر بوضوح في تلك التناقضات في محاورة بارمينيديس Parminides ، وكذلك غرابة الأطوار في محاورتي السفسطائي Sophistes والسياسي Politicus . ولقد كانت حيلة شيطانية بارعة أن يضع محاورة مينيكسينوس على لسان دمية سقراط ، ولعله من دواعي سرورنا أن خدعته هذه لم تتكرر مرة ثانية . وإن هذه الجرأة الواضحة في هذه الخدعة

---

(١) وفي هذا المجال يهاجم الدكتور فؤاد زكريا (دراسة لجمهورية أفلاطون ، ص ٢٣ وما يتبعها) تعاليم كل من سقراط وأفلاطون . انظر في هذا الخصوص عبد الرحمن بدوي ، الفلسفة القورنيائية ، ص ٣٦ .

لهي دليل آخر على أن هذه المحاورة أفلاطونية صميمة . ويمكننا أن ندرك بأن أفلاطون قد يعطي لنفسه مثل هذه الحرية مرة في لحظة تعاسة ، وبالتأكيد أنه ليس من المعقول أن يكون أحد أعضاء مدرسة أفلاطون قد خاطر بمثل هذا الأمر على الأطلاق .

ولكي يكتمل ما نهدف له في هذا الخصوص فإننا نقدم ترجمة عربية لهذه المحاورة الأفلاطونية .

ترجمة محاورة مينيكسينوس

٢٣٤ أ سقراط : أقادم أنت من الآجورا[1]، يا مينيكسينوس ، أم من أين ؟

مينيكسينوس : إني قادم ، يا سقراط ، من الآجورا ومن مجلس الشورى.

سقراط : وما الذي حدا بك أن تذهب إلى المجلس بالذات ؟ أم أن السبب وراء ذلك هو اعتقادك بأنك قد أوشكت أن تنتهي من دراستك وتعلمك الفلسفة ، وأنك تعتقد أنك قد تعلمت بما فيه الكفاية من هذه الثقافة وواجبك الآن أن توجه اهتمامك إلى أمور أعظم ، كأن تسعى وأنت في مثل هذا الوقت من العمر ، أيها الشاب المدهش[2] ، أن تقودنا نحن الأكبر

---

(١) الآجورا ، Agora ، هي السوق العامة في أثينا . وقد كانت مكاناً للتجارة كما كانت أيضاً مركزاً يتجمع فيه أهل الآداب والفنون لتقديم منتجاتهم الأدبية والفنية ، وهي لذلك تشبه إلى حد كبير سوق عكاظ عند العرب . ولقد كانت أهمية الآجورا تزداد وتنخفض تبعاً لأهمية مركز أثينا التجاري والسياسي والأدبي . ويصف لنا ثوكيديديس (الكتاب الثاني فقرة ٥٨ وما يليها) كيف كانت أثينا مركزاً تجارياً من أهم المراكز في بلاد اليونان في القرن الخامس حتى إن الإنسان كان يسمع في شوارعها وعلى الأخص جميع اللهجات اليونانية ويرى فيها كل المنتجات اليونانية .

(٢) معنى هذا أن مينيكسينوس قد قارب الثامنة عشر من عمره حيث يقيد الشاب في حيه لدخول الحياة السياسية .

ب سناً ، وذلك حتّى لا يفتقد بيتكم من يقدمه ليكون أحد حكامنا ؟

مينيكسينوس : إنني ، يا سقراط ، لأقبل أن أتولى الحكم بكل سرور لو أنك أذنت لي وأشرت علي بذلك ، وبغير ذلك فإنني أرفض هذا الأمر[1] . وعلى أية حال ، كنت قد ذهبت إلى المجلس إذ علمت بأنه ينوي اختيار شخصاً كي يلقي خطبة ، لأنهم كما تعلم يُرتبون لتنظيم طقوس جنائزية .

سقراط : نعم أعلم ، ومن ذلك الذي اختاروه ؟

مينيكسينوس : لم يختاروا أحداً ، فقد أجاوا هذا الموضوع إلى الغد . وفي أعتقادي أنهم سوف يختارون أرخينوس أو ديون .

حـ سقراط : في الواقع ، يا مينيكسينوس ، أن خوض غمار المخاطر والسقوط صريعاً في معركة (من أجل الوطن) لهو أمر طيب من نواحي عديدة . فالإنسان في هذه الحالة ينال التكريم بجنازة فخمة رائعة بالرغم من أنه قد يكون حتّى وفاته مجرد رجل بسيط فقير لا يتمتع بمنزلة رفيعة . كما ينال من الثناء الكثير على لسان حكماء الرجال في خطبة ليست مرتجلة بل أعدت منذ فترة كبيرة . ويقوم هؤلاء بإلقاء عبارات الثناء بأسلوب رائع يصل إلى حد أنهم يمدحون ٢٣٥ ا كل فرد على ما قدم وما لم يقدم وبما له من خصال وما ليس له . وينعتون أسماءهم بأنواع شتّى من أرفع الفضائل بشكل يسحر ألبابنا . ويقرظون المدينة بكل صور المجد ويكيلون

(١) لعلنا ندرك من هذه الإشارة مكانة الفيلسوف كمستشار لأفضل الأشخاص لتولي مقاليد الأمور لا أن يكون هو نفسه حاكماً . قارن د. فؤاد زكريا ، دراسة لجمهورية أفلاطون ، ص ١١ وما يليها .

المدائح لكل من سقطوا في الحرب الأخيرة ومن لاقوا حتفهم من أسلافنا في الحروب السابقة ، كما يثنون علينا نحن الذين لا نزال على قيد الحياة لدرجة أني ، يا مينيكسينوس ، أشعر بأني قد أصبحت أكثر نبلا عندما أسمع مديحهم . وكلما استرقت السمع لمديحهم تبهرني كلماتهم حتى أني أحس في لحظة بأني قد أصبحت أكثر وسامة وشجاعة . وعندما يشاركني بعض الغرباء ، كما هي العادة ، الاستماع إلى الخطبة أشعر وكأنني قد أصبحت فجأة أكثر عظمة في نظرهم ، ذلك لاعتقادي أنهم يشاركونني تماماً نفس المشاعر نحو شخصي ونحو مدينتنا وأنهم يرونها أكثر روعة عن قبل نتيجة لاقتناعهم بسبب فصاحة الخطيب . ويظل هذا الشعور بالعظمة يلازمني ما يزيد على ثلاثة أيام . كما يبقى حديث الخطيب وصوته يتردد في أذناي بصفة مستمرة لدرجة أني لا أثوب إلى رشدي إلا بالكاد في اليوم الرابع أو الخامس وأشعر بأني أعيش على الأرض . وحتى ذلك الحين يظل الشعور يلازمني بأنني أعيش وسط القديسين في جزرهم . هكذا ، كما ترى ، كم يبدو خطباؤنا مبرزين . (ب)

مينيكسينوس : إنك لدائم السخرية من الخطباء ، يا سقراط ، ولكني أعتقد حقاً أن الخطيب الذي سيقع عليه الاختيار هذه المرة لن يكون مستعداً تمام الاستعداد ، ذلك لأن اختياره سيقع في التو حتى أنه قد يضطر للارتجال .

(د) سقراط : لماذا يا طيب القلب ؟ إنه من المعتاد أن يكون لدى كل شخص من هؤلاء أحاديث معدة . وبالإضافة إلى ذلك ، فإنه ليس من العسير أن يرتجل شخص مثل هذه الأحاديث .

وإذا كان مفروضاً على إنسان أن يمدح البلوبونيزيين في حضرة الأثنيين أو الأثينيين أمام البلوبونيزيين ؛ لكانت هناك حاجة ملحة إلى خطيب مفوه بارع كي يصل إلى الاقناع ويحوز الثقة . أما عندما يكون الخطيب متحدثاً بين أولئك الذين يمدحهم ؛ فليس من العسير عليه أن يبذل الجهد كي يبدو لهم محدثاً بارعاً .

مينيكسينوس : أو تظن أنه لا حاجة (لخطيب بارع) يا سقراط ؟

سقراط : لا حاجة بكل تأكيد وحق زيوس .

هـ مينيكسينوس : وهل تعتقد أنك أنت نفسك قادر على أن ترتجل خطبة لو تطلب الأمر واختارك المجلس ؟

سقراط : إن كوني استطيع ارتجال خطبة ، يا مينيكسينوس ، ليس بالأمر الذي يثير الدهشة ، إذ أن من تصادف أنها كانت معلمتي لم تكن غير حاذقة في فن الخطابة[1] ، بل إنها هي التي صنعت من آخرين كثيرين غيري خطباء مفوهين ، وأحدهم كان بركليس بن كسانثبوس الذي تفوق على كل الاغريق .

مينيكسينوس : ومن تكون تلك ؟ آه ، من الواضح أنك تعني بها أسباسيا .

سقراط : حقاً، إني أعنيها، وكذلك كونوس بن ميتروبيوس، إذ أن هذين الشخصين هما معلماي ، وكان كونوس للموسيقى وأسباسيا للخطابة . وبناء على ذلك فإنه ليس مما يثير الدهشة أن يكون شخص له ثقافتي ماهراً في الحديث . بل وإنه

٢٣٦ ا

١. يشير سقراط إلى أسباسيا زوجة بركليس السياسي الأثيني المعروف . وهي أصلا من ميليتوس .

ليستطيع حتّى شخص أقل مني مستوى تعليمياً ، كأن يكون قد درس فن الموسيقى على يد لامبروس وفن الخطابة على يد أنتيفون الرامنوسي[1] ، حتّى مثل هذا الشخص يستطيع أن يحوز ثقة الأثينيين لو أنه وقف أمامهم مادحاً .

مينيكسينوس : وماذا كان يمكنك أن تقول لو أنه طلب منك الحديث ؟

سقراط : في الواقع إنني لن أقول شيئاً من ابتكاري الشخصي ، لقد كنت أستمع بالأمس إلى أسباسيا وهي تدبج خطبة جنائزية من أجل نفس هؤلاء الرجال . ذلك أنها كانت قد عرفت ما قلت به من أن الأثينيين ينتوون اختيار خطيب ، ومن ثم ألقت على مسامعي تلك الخطبة بالصورة التي يجب أن تلقى بها . لقد ارتجلت جزءاً من هذا الحديث ، أما بقية الأجزاء فكانت قد أعدتها من قبل وذلك عندما كانت تصيغ الخطبة الجنائزية التي كان قد ألقاها بركليس ، كما أعتقد ، وبعد أن ربطت بين هذه الأجزاء كونت خطبتها[2] .

مينيكسينوس : وهل في استطاعتك أن تتذكر ما قالته أسباسيا ؟

سقراط : ما لم أكن مخطئاً فإنني أستطيع بكل تأكيد ، إذ أنني قد تعلمت على يديها ، ولو أنني كنت أنال جزاء نسياني في بعض الأحيان .

مينيكسينوس : هلا أعدت علي ما قالته ؟

سقراط : ولكن ربما غضبت مني مدرستي إذا أنا أذعت حديثها .

مينيكسينوس : أبداً لن أذيع الحديث ، يا سقراط ، لكن تكلم وأغمرني

١. كان أنتيفون اللي ولد عام ٤٨٠ ق.م هو أول خطباء أتيكا العشرة العظام .

٢. انظر حول هذا الموضوع :

G. Kennedy, The Art of persuation, p. 158 M.

بفضلك ، ولا يعنيني إذا أسمعتني حديثاً لأسياسيا أو لأي شخص آخر وكل ما يهمني هو أن أسمعك .

سقراط : لكنك ربما سخرت مني أنا العجوز إذ أبدو كما لو كنت ألهو كطفل .

مينيكسينوس : على الاطلاق ، يا سقراط ، وأرجوك أن تحدثني (عن الخطبة) .

سقراط : على أية حال ، فلسوف أحاول أن أدخل على نفسك البهجة بكل وسيلة حتّى ولو وصل بك الأمر أن تطلب مني أن أرقص عارياً ، ما دمنا وحدنا . وهاك ما قالته . لقد استهلت حديثها ، كما اعتقد ، بذكر الموتى على النحو التالي :

د

ومن الناحية العملية ؛ فقد أسبغنا عليهم كل ما يجب نحوهم من تكريم وهم سائرون نحو رحلتهم المحتومة . لقد شيعوا بموكب رسمي على مستوى المدينة وكذلك في موكب خاص يضم أحبائهم . وأما من الناحية النظرية ؛ فإن الدولة تكفل آداء التكريم اللائق كما يؤيدها القانون في ذلك . إنه بواسطة الكلمات المنمقة يمكننا تخليد ذكرى الأفعال النبيلة وأن نرفع من شأنها في أذهان المستمعين . ويجب أن يكون الحديث ثناء قوياً على من سقطوا ، وأن يكون كذلك تشجيعاً رقيقاً للأحياء حتّى يحضوا أبناءهم وأخوتهم على محاكاة شجاعة هؤلاء الأبطال ، وأن يكون أيضاً مواساة للآباء والأمهات وكل من كان لا يزال حياً من جيل الشيوخ . فأي حديث ذلك الذي يمكن أن يبدو على هذه الصورة ؟ ومن أين تكون البداية السليمة عند مديح هؤلاء الصناديد ، الذين كانوا في حياتهم مصدر

هـ

٢٣٧ ا

سرور للأصدقاء والذي اشتروا سلامة الأحياء ودفعوا حياتهم ثمناً لها ؟ وإنني لأعتقد أنه من الواجب أن نسلك الطريق الطبيعي في ثنائنا عليهم مثلما كانوا هم أنفسهم طبيعيين في شجاعتهم . لقد كانوا صناديد إذ نبتوا من سلالة أبطال . ومن ثم فلنبدأ بالثناء على نبل منبتهم ، ثم نقرظ نشأتهم وتعليمهم . وبالإضافة إلى ذلك نتناول طبيعة منجزاتهم لنبين كم كانت نبيلة جديرة بهذا التعليم .

ب

وعندما نتعرض لنبل محتدهم ؛ فإن أول نقطة نوضحها أن منبت أسلافهم خال من أي عنصر غريب ، كما لم يكن أبناؤهم من أصل مستوطن بل كانوا مواطنين نشأوا من التربة التي عليها ترعرعوا ، ولم يربوا في وطن كان لهم بمثابة زوجة الأب مثلما كان الحال بالنسبة للآخرين ، بل إنهم قد شبوا وعاشوا في وطن هو أمهم . والآن ، وقد ماتوا فإنهم يعودون إلى أحضان الأرض التي أنبتتهم وربتهم وهي تستقبلهم كي يخلدوا للراحة في مراقدهم . ولذلك فإنه حق علينا أن نمجد هذه الأم نفسها ، إذا أننا عندما نفعل ذلك فإننا إنما نمجد في ذات الوقت محتد هؤلاء الأبطال .

ح

هناك أسباب شتى تجعل وطننا جدير بالثناء ليس منا فقط بل من البشر جميعاً ، وأول هذه الأسباب وأهمها هي أنها عزيزة على الآلهة . وعلى قولنا هذا يقف ذلك الصراع بين الآلهة المتنافسة على رعايتها وما صدر في هذا الشأن من حكم شاهداً على ذلك[1]. وكيف لا تستحق الثناء من كل البشر مدينة مدحتها الآلهة ؟ وهناك مبرر آخر لتقريظها ؛ ذلك أنه في الوقت الذي كانت فيه مختلف بقاع الأرض تنبت وتعج بالحيوانات من كل جنس ، المتوحش

(١) الصراع الذي نشأ بين الإلهة أثينا و بوسيدون . أنظر : Ovid, Metam. vi 70 sqq.

منها والأليف، ظهرت بلادنا خالية ونظيفة من كل متوحش،
واختارت لنفسها أن تقتني ذلك النوع من الحيوان النافع
وأن تهب الحياة لذلك النوع من الرجال الذي يتفوق على
سائر المخلوقات إدراكاً وكان الوحيد الذي يفكر في العدالة
والآلهة . ودليلنا القوي على هذا القول هو أن تربتنا هذه
قد أنبتت آباء هؤلاء الأبطال وآباءنا . إن كل معون بما فيه
ينضح (إذ أن كل كائن متناسل يرضع وليده مما يملكه
من غذاء) ، وعلى هذا النهج يتضح ما إذا كانت الأنثى
أماً أم لا ، فإذا كانت ترضع وليدها فهي أم ، أما إذا
كانت لا تملك المصدر الذي منه تعطي لوليدها القوت فهي
ليست كذلك . وفي هذا المجال تقدم أرضنا، التي هي في
ذات الوقت أمنا، الدليل القوي على أنها أنجبت رجالاً ،
لقد كانت الأولى بل والوحيدة التي أثمرت للبشر غذاء
من القمح والشعير ليقتات عليها الناس بأحسن وأفضل السبل،
وذلك لكونها حقاً أماً لهم . وإنه لمن الأفضل أن تكون مثل
هذه البراهين أكثر قبولاً بالنسبة للأرض عنها بالنسبة للأم ، ٢٣٨ ا
إذ أن الأرض لا تحاكي الأم في أمور الحمل والولادة بل
الأخيرة هي التي تقلد الأولى في ذلك . ولم تبخل على
أبنائها بثمار بل أغدقتها على الآخرين أيضاً . ثم جعلت
من شجر الزيتون شجراً مثمراً من أجل أبنائها وليكون عوناً
لهم في أوقات المحن . وبعد أن حنت عليهم برعايتها وأنمتهم
حتى سن الرجولة، جاءت بالآلهة ليكونوا حكامهم ومعلميهم
الذين يجب أن نمر على أسمائهم في هذا الحديث مر الكرام ب
إذ أننا على علم بهم وهم الذين رتبوا لنا نظام حياتنا اليومية،
وهم الذين علمونا قبل غيرنا مختلف الفنون وكيفية اقتناء

الأسلحة واستخدامها كي نذود عن بلادنا .

ولما كان أجداد هؤلاء الرجال قد ترعرعوا وربوا على هذا المنوال شكلوا لأنفسهم دولة يستحسن أن نصفها بإختصار . إن الدولة هي راعية الرجال ، فدولة الصالحين صالحة ودولة الأشرار على عكس ذلك . وبناء عليه فمن الضروري أن نقول بأن خلفائهم قد نشأوا في ظل دولة نبيلة ، وأنه تبعاً لذلك فإنهم ومعاصرينا من أبنائهم بما فيهم من سقطوا شهداء جميعهم نبلاء . ونفس هذه الدولة ، التي وجدت منذ القدم حتى وقتنا هذا وتحت لوائها منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا ، هي الأرستقراطية . ويطلق عليها البعض اسم الديمقراطية بينما البعض الآخر ينعتها باسم آخر ، لكنها في الواقع أرستقراطية تحظى بتأييد الشعب . وكان يحكمنا في غالب الأحيان ملوك يتولون السلطة بالوراثة أحياناً وبالانتخاب أحياناً أخرى[1] . وبينما كانت غالبية شئون المدينة تحت إمرة الشعب ، كانت وظائف الدولة ومقاليد السلطة تذهب إلى أيدي الممتازين . ولم يحرم أحد بسبب ضعفه أو فقره أو لكونه مجهولا ، ولم يكن يعاب أحد لما له من صفات على العكس من ذلك كما هو الحال في مدن أخرى ، بل على العكس من هذا كان الأساس الذي يختار من أجله الإنسان لتولي السلطة هو أن كل حكيم وصالح يمكنه أن يملك ويحكم . لقد كانت الخلفية الكامن وراءها نظام حكومتنا هذا هي المساواة من ناحية المولد . وبينما كانت المدن الدول الأخرى تتكون من خليط من الرجال غريب عن أرضه حتى أن حكوماتهم كانت هي الأخرى خليط

---

(١) يقصد الأراكنة الذي كان يسمى أحدهم ملك Basileus .

غريب من حكومات الطغيان وحكومات الأقلية (أوليجاركية) كما كان البعض يعتبر عبيداً والبعض الآخر أسياداً ؛ كان الأمر بالنسبة لنا على العكس تماماً ، فبما أننا جميعاً أخوة ولدوا من أم واحدة لم يكن من مطالبنا أن يكون البعض منا عبيداً والبعض الآخر سادة ، بل بالأحرى تدفعنا مساواتنا الطبيعية في الأصل إلى أن نطالب بالمساواة الطبيعية طبقاً للقانون وألا يكون أحدنا خاضعاً للآخر إلا على أساس التميز بالفضيلة والحكمة .

٢٣٩ ا

ومن ثم فقد نشأ آباء هؤلاء الأبطال وآباؤنا وكذلك نحن أنفسنا على مبادىء الحرية التامة ، ولما كانوا قد ترعرعوا على هذه النشأة النبيلة ؛ فقد سبقوا كل الرجال بأعمالهم النبيلة على المستويين الخاص والعام ، وآمنوا بأن واجبهم أن يناضلوا من أجل الحرية حتى ولو قاتلوا الاغريق أنفسهم وأن يحاربوا البرابرة من أجل الاغريق بل ومن أجل جميع اليونانيين . فعندما شن إيومولبوس[١] والأمازون[٢] هجومهم على الوطن ، كما فعل غزاة سابقون ، قاموا بصدهم ، كما دافعوا عن الأرجيين ضد هجوم الكادميين[٣] وعن الهرقليين ضد الأرجيين[٤] . وهذه في الواقع قصص يقصر مقامنا هنا عن سردها كما تستحق . ولقد تغنى الشعراء في قصائدهم بإسهاب بفضائلهم إلى درجة جعلتها معروفة لكل أرجاء

ب

(١) إيومولوبس Eumolpus ، شاعر وزعيم طراقي ، وهو ابن بوسيدون Poscidon ويقال أنه ساعد أهل إليوسيس Eleusis في غزو أتيكا .

(٢) الأمازون ، Amazones ، هم عنصر من المحاربين في بونتوس Pontus . يقال أنهم هاجموا أثينا ولكنهم طردوا إلى آسيا على يد البطل ثيسيوس Theseus .

(٣) حدث ذلك في الحرب المسماة حرب السبعة ضد طيبة، وطيبة هي المدينة التي يقال أن كادموس هو مؤسسها .

(٤) ساعد الأثينيون أبناء هيراكليس ضد إيوروشيوس Eurystheus ملك تيرينس Tiryns في أرجوليس Argolis .

المعمورة . ولذلك إذا حاولنا تقريظ هذه الأعمال بمقالات نثرية فسنجد أنفسنا وقد تخلفنا كثيراً في هذا الصدد . ومن ثم وجب علينا أن نمر على ذكرها مر الكرام لأنها نالت من التكريم ما تستحق . أما منجزاتهم التي لم يستوفيها الشعراء حقها من الثناء بعد لسبب ما من الأسباب ولا تزال في طي النسيان ؛ فأعتقد أنه من واجبي أن أعطيها من المديح ما تستوجب وأن أمد الآخرين بمادتها لتكون أساساً لقصائدهم وأشكال أشعارهم الأخرى حتى يتمكنوا من تدبيجها بصورة تليق بمن قاموا بهذه المنجزات . ويأتي في مقدمة ما سوف أتناوله من هذه الأعمال المنجزات التالية :

د

لقد كان الفرس يحكمون آسيا ويستعبدون أوربا عندما احتكوا بأبناء هذه الأرض من آبائنا ، الذين يحتم علينا الواجب والانصاف أن نذكرهم ونثني على فضائلهم أولاً وقبل كل شيء . ولكن إذا أراد شخص أن يوفيهم قدرهم من المديح وجب عليه إلقاء نظرة فاحصة عليها واضعاً في اعتباره تلك الفترة التي كانت تخضع فيها آسيا كلها لسيطرة ثالث ملوك الفرس . وأول هؤلاء الملوك كان كيروس [1] قام بأعمال ملهمة فحرر مواطنيه الفرس وأخضع أسيادهم السابقين ألا وهم الميديين وسيطر على بقية آسيا ووصل

هـ

حتى مصر . ومن بعده ، استولى إبنه[2] على مصر وسار إلى ليبيا وسيطر على أجزاء منها بقدر ما مكنته الظروف . أما ثالثهم ، داريوس ، فقد مد حدود الامبراطورية براً حتى أراضي الاسكيثيين ، كما سيطر أسطوله على البحار

(١) طرد كيروس (قيرش) الميديين في عام ٥٥٩ ق.م ، وحكم حتى عام ٥٢٩ ق.م .
(٢) قمبيز Cambyses ، وقد حكم في الفترة ٥٢٩ – ٥٢٢ ق.م .

والجزر حتّى أنه أصبح يعتقد أنه لم يعد هناك خصم قادر
على أن يعترض سبيله . وسيطر الشلل على أفكار الجميع . ٢٤٠ ا
وهكذا سقطت شعوب كثيرة ذات مقدرة قتالية عالية
وخضعت لنير احتلال الامبراطورية الفارسية .

وعلى أثر اتهامنا مع الإريتريين من قبل دا ريوس بتدبير
الهجوم على سادريس[1] ؛ أرسل حملة تتألف من عشرة
آلاف وخمسمائة محارب على ظهور القوارب والسفن ،
بالإضافة إلى ثلاثمائة سفينة حربية ، تحت إمرة قائده داتيس[2]
ولقد أملى عليه أوامره بأن مشيئته هي اخضاع الإرتيريين ب
والاثينيين ، ذلك إذا أراد أن يبقى على رأسه فوق جسده .
ولقد أبحر هذا الأخير إلى إرتيريا ليواجه محاربين كان من
بينهم حينئذ أشد الإغريق صلفاً في الحرب . ولم يكن هؤلاء
قلة ، ولكن ظل داتيس متفوقاً عليهم طيلة ثلاثة أيام وأخذ
يجوب البلاد كلها طولاً وعرضاً يفتش عنهم حتى لا يفلت
أحدهم من يده . هكذا كان أسلوبه ؛ لقد سار بجنوده
إلى حدود إرتيريا يتمركزون من بحر إلى بحر ، وبعد ذلك
أخذوا في التجمع متوغلين داخل البلاد كلها حتى يضيقوا
الخناق ويستطيعوا أن يبلغوا الملك بأن أحداً لم يفلت من
أيديهم . وبنفس هذا الأسلوب أبحروا من إرتيريا ووجهتهم

(١) عندما قامت الثورة ضد الحكم الفارسي في عام ٤٩٤ ق.م وعلى الأخص في ميليتوس عضدتها كل من أثينا وإرتيريا .

(٢) وفي عام ٤٩٠ ق.م أعد داريوس حملة للانتقام من هاتين البلدتين تحت قيادة داتيس Datis انظر هيرودوت ، الكتاب الخامس ، فقرة ٩٠ وما يليها ؛ أفلاطون ، القوانين ، الكتاب الثالث ، فقرة ٦٩٨ حـ .

الماراثون . وكان اعتقادهم الراسخ أنهم سوف يصادفون مهمة سهلة في أن يخضعوا الأثينيين لنير الأسر ، كما كان الحال مع الإريتريين .

٢٤٠ حـ وبينما كانت هذه الأحداث تجري على قدم وساق ويحاول الفرس الانتهاء منها لم يمد أحد من الإغريق يد العون إلى الإرتيريين أو الأثينيين سوى اللاكيديمونيين ، وحتى هؤلاء قد وصلوا في اليوم التالي للمعركة . ولما كانت الصدمة قد أفزعت كل الآخرين آثروا السلامة المؤقتة ولم يحركوا ساكناً . وفي هذا الوقت ينبغي علينا أن ندرك ماهية

د رجال الماراثون ومن أي طراز كانت شجاعتهم ؛ لقد صدوا قوة البرابرة وتحدوا كبرياء آسيا كلها وكانوا أول من أوقف انتصارات هؤلاء البرابرة . لقد أصبحوا رواداً علموا الآخرين أن قوة الفرس لم تكن بالتي لا تقهر وأن كل حشد وكل ثروة مهما تكن إنما تقهر بالشجاعة . ولذلك فإنني أؤكد أن هؤلاء الأبطال ليسوا فقط آباء لأجسامنا بل هم آباء لحريتنا ولكل شيء حي على أرض هذا الوطن أيضاً . لقد أثاروا ببطولاتهم هذه نخوة الإغريق في معاركهم التالية وقدموا لهم حافز المخاطرة من أجل الحرية بعد أن أصبحوا تلامذة لأبطال الماراثون .

٢٤٠ هـ ولذلك فإنه في خطبتنا هذه يجب أن نكلل هؤلاء الأبطال بأولى جوائزنا ، وأما الثانية فنمنحها لأولئك الذين خاضوا معارك سلاميس وأرتميزيوم البحرية[1] وأحرزوا انتصاراتها . إن هناك الكثير الذي يمكن أن يقال عنهم ؛ فكم صمدوا

(١) حدثت هذه المعارك أثناء غزو كسيركسيز لبلاد اليونان عام ٤٨٠ ق.م .

للهجمات البرية والبحرية وصدوها . ولسوف أذكر الآن ما أعتقده من أعظم الأمجاد ، على أنه يلي ما قام به أبطال الماراثون مرتبة . فبينما برهن رجال الماراثون ما هو عظيم بالنسبة للإغريق ألا وهو أنه قد أمكن لقوة صغيرة أن تصد قوة كبيرة من البرابرة ؛ إلا أن الوضع بالنسبة للمعارك البحرية لا يزال يكتنفه الغموض . لقد ظل الفرس يشتهرون بأنهم قوة بحرية لا تقهر وذلك بفضل تفوقهم العددى وثرائهم ومهارتهم وقوتهم. ومن ثم استحق هؤلاء الذين حاربوا بحراً عاطر الثناء لتحريرهم الإغريق مما سيطر عليهم من خوف ووضعهم حداً لروح القهقرية الناجمة عن كثرة أعداد سفن العدو ورجاله . وكان من نتيجة بطولة الفريقين ، فريق الذين استبسلوا براً في الماراثون والذين ناضلوا بحرا في سلاميس ، أن تعلم بقية الإغريق الدرس وتعودا ألا يخشوا البرابرة براً، كما لقنهم جنودنا الدرس ، أو بحراً كما علمهم بحارتنا .

٢٤١ حـ أما البطولة التي ظهرت في معركة بلاتايا[١] فإنها تأتي في المرتبة الثالثة، سواء أكان ذلك فيما يتعلق بترتيبها أو من ناحية ميزتها بالنظر إلى تلك الانجازات التي أمنت سلامة اليونان . ولقد تعاون كل من اللاكيديمونيين والأثينيين في هذا العمل .

٢٤١ د لقد ساهم هؤلاء جميعاً في درء أشد الأخطار وأعنفها ولسوف تجلب عليهم بطولاتهم هذه ثناءنا ومديح ما سيأتي بعدنا من أجيال . ولكن حدث بعد ذلك أن ظلت كثير

(١) هزم الفرس بقيادة ماردونيوس في بلاتايا عام ٤٧٩ ق.م .

من المدن الإغريقية متحالفة مع الملك البربري، كما قيل أنه كان ينوي إعادة محاولته ضد الإغريق . لهذا يقتضينا العدل أن نذكر في هذا المجال أولئك الذين أكملوا أعمال سابقيهم في تأمين الخلاص بطردهم جميع القوة البربرية وتطهير

٢٤١ هـ البحار منهم . هؤلاء الرجال هم الذين حاربوا في موقعة إيوريميدون البحرية[١] وأولئك الذين ساروا في حملة إلى قبرص والذين أبحروا في حملات إلى مصر وأماكن أخرى كثيرة[٢] . هؤلاء هم الرجال الذين وجبت علينا ذكراهم واعترافنا بجميلهم ، فقد أدخلوا في قلب الملك الرعب وجعلوا جل همه أن يطلب لنفسه السلامة مغنماً لا أن يدبر لليونان المهالك .

٢٤٢ ا لقد احتمل جميع مواطنينا عناء هذا الحرب ضد البرابرة من أجل أنفسهم وكل الشعوب التي تنطق باليونانية. ولكن عندما نشر السلم أجنحته واحتلت مدينتنا مكان الصدارة حاق بها ما يحيق بكل من يصيب النجاح . لقد هبت عليها عاصفة من الحسد وأحاطها سور من الحقد وأخيراً اشتبكت في حروب مع الإغريق دون أن يكون ذلك بغيتها . وما أن اشتعلت نيران الحرب حتى حاصروا اللاكيديمونيين عند تناجرا[٣] في حين كانوا يحاربون دفاعاً عن حرية البيوتيين . وعلى الرغم من أن المعركة لم تكن حاسمة إلا أنها

ب حددت مصير النتائج التالية ، ذلك أنهم قد تقهقروا ورحلوا

(١) هزم الأثينيون تحت قيادة كيمون القوات الفارسية براً وبحراً عند نهر أيوريميدون في بامفيليا عام ٤٦٨ ق.م (Thuc. I, 100)

(٢) حدثت هذه الحملات البحرية ضد الفرس ما بين ٤٦١ – ٤٥٨ ق.م .

(٣) كان ذلك في عام ٤٥٧ ق.م .

متخلين عمن كانوا يساعدونهم (البيوتيين). ولقد أحرز رجالنا النصر في معركة أوينوفتياي[1] في اليوم الثالث، وأعادوا بحق أولئك الذين كانوا قد نفوا ظلماً. وبعد انتهاء الحرب الفارسية كان رجالنا أو من انتصر ليونانيين ضد إخوانهم في قضية الحرية وبرهنوا على أنهم رجال ذوو بأس وحرروا من يساعدونهم. ولهذا كانوا أول من حظى بتكريم الدولة وأودعوا للخلود في هذه القبور.

ح

وعندما اتسعت رقعة الحرب فيما بعد؛ سار الإغريق جميعهم ضد مدينتنا ودمروها وأجزلوا لبلدنا من شر عطائهم ولكن انتصر عليهم رجالنا وأسروا قوادهم اللاكيديمونيين في سفاجيا[2]، وبالرغم من أنه كان في استطاعتهم أن يقضوا على حياتهم إلا أنهم أبقوا عليها وأعادوهم لديارهم وعقدوا معهم صلحاً، ظناً منهم أنه ألا يتعدوا في قتالهم مع أبناء جنسهم حدود الانتصار عليهم وألا يكونوا السبب في تحطيم المجموعة اليونانية بسبب ما تكنه مدينة ما من حقد. ولكن الواجب يحتم عليهم أن يقاتلوا البرابرة حتى الموت. إنه لينبغي أن نثني على هؤلاء الأبطال الذين خاضوا غمار هذه الحرب ويرقدون هنا الآن إذ أنهم قدموا الدليل الذي يدحض حجة كل من ينازع بأنه كان هناك من فاق الأثينيين في حربهم السابقة ضد البرابرة. ولقد برهنوا الآن أيضاً على تفوقهم وذلك بانتصارهم في المعارك التي دارت بين

د

هـ

---

(١) حدثت معركة أوينوفيتاي Oenophytae بعد شهرين من معركة تناجر Tanagra انظر: Thuc I., 108

(٢) وهي تسمى سفاكتريا Sphacteria. ولقد وقعت هذه الأحداث في عام ٤٢٥ ق.م أي السنة السابعة من الحرب البلوبونيزية.

المدن اليونانية ودحرهم لمن كانوا قادة بلاد اليونان كما هزموا تلك المدينة التي بتحالفها استطاعوا هزيمة البرابرة من قبل[1] .

ولقد أعقب هذا السلم حرب ضروس مفاجئة ثالثة أودت بحياة عدد كبير من الأبطال يرقدون الآن هنا في مثواهم الأخير . ولقد حمل الكثير منهم العديد من لواءات النصر وهم يحاربون في صقلية دفاعاً عن حرية الليونتينيين[1] ، إذ أنهم كانوا قد أبحروا إلى تلك المناطق لمساعدة أهليها وذلك وفاء لعهد قطعوه على أنفسهم . ولكن ما حدث هناك أنهم وقفوا دون ما عون من مدينتنا نظراً لبعد المسافة ، ولقد ترتب على ذلك أن فشل رجالنا في مساندة أهل صقلية وأصيبوا بخيبة أمل لدرجة أنهم تخلوا عن مخططهم. ومع ذلك فقد كان ما أبدوه من حسن البلاء والفطنة والاقدام دافعاً لأن ينالوا اعجاب جنود جيش الأعداء قبل بقية الحلفاء . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد شارك الكثيرون منهم في المعارك البحرية التي جرت أحداثها في الهليسبونت بنفس المقدرة الفذة حتى إنهم أسروا جميع سفن الأعداء الحربية في يوم واحد[2] ، هذا إلى جانب انتصاراتهم الأخرى العديدة . أما فيما يتعلق بما أشرت إليه آنفاً عن نشوب حرب ضروس مفاجئة ، فإنني استطرد في سردي لها بقولي أن بقية الإغريق قد اندفعوا ضد مدينتنا بأقسى درجات الحقد لدرجة أنهم وقفوا في

٢٤٣ ا

ب

---

(١) وقعت أحداث الحملة الصقلية في عام ٤١٣ ق.م .

(٢) تعد هذه مبالغة إذا كان المقصود هو ما جاء في ثوكيديديس (الكتاب الثامن ، فقرة ٩ وما يليها) حيث تم الإستيلاء على عشرة سفن . لكن من المحتمل أن الأشارة هنا إلى النصر الذي حدث في سيزيكوس Cyzicus عام ٤١٠ ق.م ، حيث تم الاستيلاء على عشرة سفن أو أغرقت .

موضع المحرض لأخطر أعدائهم ألا وهو الملك الفارسي ، ذلك الملك الذي اشتركوا معنا في القيام برده على أعقابه . لقد تحالفوا مع ذلك الملكالبربري ضد اخوة لهم من الإغريق هم نحن ، كما أغاروا صدور جميع الإغريق والبرابرة وحقدهم ضد مدينتنا[1] . وفي هذه الظروف تظهر بحق أصالة مدينتنا وثبات روح الفضيلة الكامنة في شعبها . لقد ظن الحاقدون أنها قد وهنت واضعفتها الحروب السابقة وخاصة بعد أن فقدت سفنها في ميتيليني ، وكان شعب أثينا قد أرسل ستين سفينة حربية لمساعدة هذه الجزيرة . ولقد برهن الأثينيون في هذه المعركة على أنهم مقاتلون من الطراز الأول وأنهم رجال ذوي بأس عندما يركبون ظهور سفنهم لقد هزموا أعداءهم وحرروا حلفاءهم[2] ، إلا أنهم للأسف قد صادفوا قدرهم الذي ما كانوا ليستحقونه ولم يكن من الممكن إلتقاطهم من غياهب البحر كي يواروا ترابأرضهم هنا[3] . ولأجل كل هذه الأشياء وجبت علينا ذكراهم والإشادة بفضيلتهم على الدوام ، ذلك لأنه بفضل إقدامهم لم ننتصر فقط في المعركة البحرية بل في بقية المعارك أيضاً . وبفضل شجاعتهم حظيت مدينتنا بالشهرة ، وإنها لشهرة تستحقها ، لقد عرف عن مدينتنا أنها لا تقهر حتى ولو وقفت ضدها قوى العالم أجمع . حقاً قد لحقت بنا الهزيمة

---

(١) هذه اشارة إلىمعاهدة اسبرطة مع تيسافيرنيس Tissaphernes في عام ٤١٠ق.م وتعاون الاسبرطيين مع الفرس ضد أثينا .

(٢) وقعت معركة ميتيليني في عام ٤٠٧ ق.م .

(٣) فقدت أثينا البحارة الذين كانوا على ظهر خمسة وعشرين سفينة حربية في موقعة أرجينوساي Arginusae عام ٤٠٦ ق.م .

ولكن كان السبب يكمن وراء ما بيننا من خلافات ، ولم تأت هزيمتنا على أيدي الآخرين فلم يحدث أن أوقع بنا أحدهم حتى يومنا هذا أية هزيمة. لقد كنا دائماً نحن الذين ننتصر ونوقع بأنفسنا الخسارة .

ه وبعد أن انتهت الأحداث سالفة الذكر حل الهدوء والسلام فيما بيننا وبين بقية الدول ، ويا أسفاه ! لقد اشتعل سعير الحرب الأهلية بين مواطنينا بصورة رهيبة جعلت كل مواطن دون استثناء يبتهل من أجل مدينته أنه إذا كان مقدراً على رجالها أن يضطروا إلى أن يخوضوا غمار حرب أهلية ألا يكون ما سوف قد يحل بها من كوارث في بشاعة ما حل بمدينتنا من وباء[1] . ولقد دفعت هذه الكوارث المواطنين من بيرايوس إلى أن يختلطوا بأهل المدينة (الأثينيين) كل بالآخر في تآخي ومحبة ، بل إنهم قد توادوا بأبعد ما كانت تطمح به آمالنا مع سائر الدول الإغريقية ، كما

٢٤٤ ا أبدى رجالنا روحاً طيبة كي ينهوا حربهم مع أهل إليوسيس[2]. ولم يكن هنالك سبب آخر لهذا التحول أقوى مما كان بينهم من روابط الدم ، تلك الرابطة القائمة على وحدة العنصر بين أطرافها إنما تقوى من أواصر الصداقة الحقة فعلا لا قولا . ومن هنا وجب علينا أن نتذكر في هذا الموقف أولئك الذين قدر لهم أن يلقوا حتفهم في هذه الحرب (الأهلية)

---

(١) الاشارة هنا الى ما أصاب أثينا من كوارث على أيدي حكام الحزب الأوليجاركي الذين سيطروا على الحكم لمدة ثمانية عشر شهراً (٤٠٤ – ٤٠٣ ق. م) حتى طردوا على أيدي الديمقراطيين بزعامة ثراسيبولوس Thrasybulus .

(٢) كانت الحرب قد نشبت بين أثينا وإليوسيس ولكن تعاطفهما ضد ما جرى على أيدي الحكام الثلاثين جعلهما ينهيان هذه الخلافات .

على أيدي أبناء جلدتهم وأن نستمطر عليهم شآبيب الرحمة بقدر استطاعتنا وما تسمح به ظروفنا وأن نتقدم بالصلوات والقرابين إلى أولئك الذين نقلوهم إلى جوارهم إذ أننا في نفس الوقت ونحن نتقدم بالصلوات إنما ننال أيضاً رحمتهم . ذلك لأن (أولئك الذين نترحم من أجلهم) لم يهاجم أحدهم الآخر لخسة أو حقد في أنفسهم بل بسبب ما وقع لهم من سوء حظهم . وإننا نحن الذين لا نزال على قيد الحياة لنشهد لهم بهذا ، ذلك لأننا وكذلك هم وكلانا ينتمي إلى نفس الجنس إنما يعفو كل منا الآخر لما ارتكبناه من أخطاء وما قاسيناه سوياً من كوارث .

ب

وبعد أن استقرت الأمور وساد بيننا السلام وسيطر الهدوء على مدينتنا تماماً ؛ منحت عفوها للبرابرة وهي تقدر ما قاموا به من دفاع مستميت عندما حاولت مدينتنا أن تلحق بهم أذى . ولكن بقي الشعور بالأسى يغص بالمرارة في حلقها من ناحية الإغريق كلما مر بالخاطر ذكرى ما أسدت عليهم من أيادي المعروف وما ردوا به عليها من مظاهر الجحود ، مشتركين في ذلك مع البرابرة ، فحرموها من سفنها التي هبت لإنقاذهم في وقت من الأوقات وهدموا أسوارها جزاء لنا نحن الذين منعنا أسوارهم من أن تهدم[1] . ومن ثم فقد عقدت مدينتنا العزم على ألا تقوم أبداً بالدفاع عن الإغريق في حالة تعرضهم للوقوع تحت نير العبودية سواء كان ذلك بواسطة أحدهم ضد الآخر أو على أيدي

جـ

(١) بعد هزيمة الأثينيين على يد الاسبرطيين في الحروب البلوبونيزية التي كانت آخر معاركها موقعة إيجوسبوتامي Igospotami عام ٤٠٥ ق.م كان من بين شروط اسبرطة هدم أسوار أثينا .

البرابرة ، وكان هذا هو ما استقر عليه رأيها . ولما كان هذا هو النهج الذي سلكته سياستنا فقد ظن اللاكيديمونيون أننا ، نحن أبطال الحرية ، قد انحدرنا وأنه قد آن لهم الأوان كي يستعبدوا الآخرين وشرعوا في وضع مخططاتهم طبقاً لهذا . د

ولكن ، ما الذي دهاني حتى أطيل الحديث على هذا النحو ؟ ذلك لأن ما أعقب ذلك من أحداث لا هو بالبعيد ولا هو ضرب من أساطير الأولين . إننا نحن أنفسنا نعرف كيف جاء الآرجيون والبيوتيون وأهل كورنثة ، وهي الدول القيادية من بين الإغريق ، في طلب معونة مدينتنا بعد أن داهمهم الرعب . وكيف أن الملك الفارسي ، وهذه حقيقة من أعجب الحقائق ، قد وصل إلى حالة من اليأس حتى أنه أصبح لا يعلق أملاً على بقعة أخرى سوى مدينتنا ، تلك التي كان متحمساً لتحطيمها أيما حماس[1] . هـ
وفي الواقع أنه إذا ما أراد شخص ما أن يوجه اتهاماً عادلاً لهذه المدينة فإن الاتهام الوحيد الحق الذي يمكن أن يوجه إليها إنما يكون على النحو التالي : إنها كانت على الدوام متعاطفة إلى أقصى درجات التعاطف تمد يد العون للضعيف بصفة مستمرة . وواقع الأمر هو أنها لم تستطع في تلك الظروف أن تكون قاسية القلب وأن تتمسك بسياسة حازمة بألا تقدم يد المساعدة لأي من أولئك الذين أساءوا إليها عندما يتعرض للوقوع تحت نير العبودية . لكن ما حدث

(١) لعل سقراط يشير بذلك إلى أن معاهدة ٤٥٠ ق.م بين أثينا والفرس كانت بداية السلام بين الفرس والاغريق وأنها أتاحت للملك الفارسي إنقاذ عرشه ضد الثورات المتكررة وضد حروب بقية الإغريق معه .

٢٤٥ ا كان العكس من ذلك فلقد سامحت وقدمت العون . وما ترتب على تقديمها يد العون للاغريق هو أنها خلصتهم من العبودية حتى أنهم ظلوا يتمتعون بالحرية حتى جاء ذلك الوقت الذي قاموا فيه هم أنفسهم بإستعباد أحدهم الآخر مرة أخرى . أما فيما يخص الملك (الفارسي) فإنها لم تجرؤ على أن تقدم له العون بصفة رسمية خشية أن تدنس بذلك انتصارات ماراثون وسلاميس وبلاتايا ، ولكنهاسمحت فقط للمنفيين والمتطوعين أن يقوموا بمساعدته . ومن ثم فإنها تكون ولا شك قد أنقذته[1] . وبعد أن أصلحت أسوارها وأعادت بناء أسطولها دخلت الحرب لأنها اضطرت للقتال ، ب فعندما هبت للدفاع عن البارين كان عليها أن تشتبك مع اللاكيديمونيين[2] .

ولكن سيطر على الملك (الفارسي) الخوف من مدينتنا وذلك عندما رأى أن اللاكيديمونيين قد كفوا عن حروبهم البحرية . وأبدى رغبته في أن يتخلى عن محالفتنا وكحجة طالب بتسليم الإغريق الموجودين في القارة، هؤلاء الإغريق حـ الذين كان الاسبرطيون قد سلموهم إليه من قبل ، وذلك كثمن لاستمراره في محالفتنا نحن وبقية حلفائنا . وكان اعتقاده هو أننا سنرفض ذلك وهكذا يتهيأ له العذر في التخلي عن هذا التحالف . ولكن ما حدث هو أنه خدع

(١) لقد أصبح كونون Conon الأثيني قائداً في جيش الفرس وعمل ضد اسبرطة في المدة ٣٩٥ — ٣٩٠ ق.م . ويجدر بالذكر هنا ما قام به الكاتب كسينوفون ورفاقه لمساعدة قيرش . انظر كسينوفون (Anapasis) .

(٢) الإشارة هنا إلى حرب اسبرطة ضد جزيرة باروس وتدخل أثينا فيها ضد اسبرطة كنتيجة للحروب البلوبونيزية .

بالنسبة لموقف بقية الحلفاء – فلقد قبلوا جميعاً بما فيهم الكورنثيون والآرجيون والبيوتيون والآخرين منهم على أن يقوموا بتسليمهم إياه واقسموا على اتفاقية مضمونها أنه إذا قدم لهم قدراً من المال فسوف يسلمون له الإغريق الموجودين بالقارة[1] . أما نحن ونحن وحدنا الذين لم نستطيع لا أن نقبل تسليمهم ولا أن نوافق على الدخول في هذه الاتفاقية .

د وهكذا كان تظهر أصالة مدينتنا وحقيقة جوهر خصائصها النبيلة المتحررة وكراهيتها الطبيعية للبربرية . وهكذا كان مسلكها لأننا نبتنا من دم اغريقي نقي لم يختلط بدم بربري. ولم يحدث أن أقام بيننا أحد ممن هم على شاكلة البيلوبيين أو الكادميين أو أهل آيجيبتوس أو الدائنيين أو آخرين من هذه الأجناس المتعددة الذين هم بطبيعتهم بربريون ولو أنهم اغريقيون بالاسم . ولكن شعبنا إغريقي خالص ولم يكن خليط من الأجناس البربرية ، ومن ثم تولدت الكراهية الشاملة من تلك الأجناس الغريبة . وعلى هذا عانينا العزلة مرة أخرى لأننا رفضنا أن نشارك في ذلك العمل المشين

هـ الدنس ألا وهو القيام بتسليم الإغريق للبرابرة . وبسبب هذا الموقف وصلنا إلى نفس العوامل التي أدت من قبل إلى خوضنا للمعارك ، ولكن وصلنا بمساعدة الإله في هذه الحرب إلى نتائج أفضل في هذه الفترة[2] ، ذلك لأننا لا زلنا نملك سفننا وأسوارنا كما بقيت لنا السيطرة على مستعمراتنا على نفس الدرجة عندما أتينا إلى خاتمة هذه الحرب ، وكان هذا دافعاً بالنسبة إلى أعدائنا أيضاً حتى يبدو ترحيبهم بإنهاء

(١) المقصود بهؤلاء هم الإغريق الأيونيين الذين كان الاسبرطيون قد قدموهم للفرس في ٣٩٢ ق.م .

(٢) يشير هنا إلى «سلام الملك» أو ما يسمى سلام أنتالكيداس Antalcidas في ٣٨٧–٣٨٦ ق.م.

القتال . وعلى أية حال فقد خسرنا فيما جرى من معارك هذه الحروب رجالاً شجعاناً ، وقد سقط هؤلاء وهم يكافحون في ساحة الوغى في أراضي كورنثة الوعرة ، ويقاومون شرور الخيانة في ليخايوم[1] . ولقد أظهر أولئك الذين أنقذوا الملك وطردوا اللاكيديمونيين من البحر شجاعة فذة . وإذا كنت أذكركم بهؤلاء الأبطال ؛ فإنما لأني أستوجبكم أن تساهموا بالمشاركة في مديح وتكريم مثل هؤلاء الأشخاص .

٢٤٦ ا لقد ذكرنا الشيء الكثير مما يتعلق بالانجازات النبيلة التي قام بها هؤلاء الأبطال الراقدون هنا ، هنا تحت التراب ، وكذلك ما يتعلق ببقية الرجال الذين ضحوا بحياتهم وهم يذودون عن ثرى مدينتهم . ولكننا لم نوفيهم حقهم من الذكرى فلم يزال هناك الكثير الذي يجدر بالذكر وهو أنبل بل وأكثر من أن تكفيه العديد من الأيام والليالي حتى يكون في الإمكان سرد قصته سرداً كاملاً وبصورة شاملة .

ب ولذلك فإنه لواجب كل رجل يكن لهؤلاء الرجال إحتراماً في نفسه أن يحض بنفس الحماس المستعر في وقت الحرب أبناء هؤلاء الأبطال ألا يظهروا بمظهر يدنوا عن مرتبة أسلافهم وألا يدعوا للجبن مكاناً يحتله من نفوسهم وألا يكون سبيلهم القهقرى . وأما عن نفسي ، يا سلالة الرجال الصناديد ، فإني أعاهد نفسي أن أحثكم الآن وفي مقبل

جـ الأيام كلما صادفتكم ولسوف أظل على عهدي أن اذكركم وأحضكم أن تحرصوا على الظهور بمظهر البأس . وأما

---

(١) تعاون الأوليجاركيون الكورنثيون مع الاسبرطيين ضد الأثينيين في ٣٩٣ – ٣٩٢ق.م.

ما أراه واجبي في الوقت الحاضر فهو أن أقوم بتسجيل ما عهد به آباؤكم إلينا عندما عزموا على المخاطرة بحياتهم وذلك حتى ننقله إذا ما حدث لهم مكروه إلى من تركوهم أحياء من بعدهم . ولسوف ألقى على مسامعكم ما كنت قد سمعته منهم هم أنفسهم وما كان يودوا أن يقولونه الآن لكم لو أنهم أوتوا من القوة ما يمكنهم من ذلك . ولسوف أؤيد قولي هذا بما تفوهوا به حقاً في تلك المناسبة . ومن ثم يجب عليكم أن تضعوا في أذهانكم بأنكم تسمعون مني كلمات خرجت من شفاههم هم . ولقد كان هذا هو ما قالوه :

« أيها الصبية ، إن كونكم قد انحدرتم من سلالة آباء مغاوير ليشهد عليه الدليل الماثل أمامنا ، لقد كان من الواجب علينا نحن الذين نعيش بغير كرامة أن نختار الموت أعزاء وذلك قبل أن نأتي بكم وبمن يأتون بعدكم إلى حياة العار وقبل أن نجلب الخزي على آبائنا وكل الأجيال السالفة ، إننا لنعتقد بأنه لا يستحق أن يعيش الحياة كل إنسان يكون سبباً في جلب العار والمهانة على ذويه ، وأن مثل هذا الإنسان لن يجد له محباً من بين الآلهة أو صديقاً من بين البشر سواء في أثناء حياته على وجه البسيطة أو في العالم الآخر بعد انتقاله إليه . ومن ثم وجب عليكم أن تحرصوا على تذكر أقوالنا . فإذا كان عليكم أن تمارسوا مهمة ما فلتمارسوا القيام بها بإقدامه لأنكم تعلمون أنه من الوضاعة والخسة أن تتخلوا عن ممتلكاتكم ومساعيكم نحو ما هو واجب عليكم . إن الثروة لا يمكن أن تجلب شرفاً على من يستحوز عليها إذا ارتبطت بالجبن ، ذلك لأن مثل هذا الإنسان إنما يثرى

من أجل غيره لا من أجل ذاته. وإن جمال الجسم وقوته ليبدوان متناسقان ولكنهما لا يكونان كذلك عندما يرتبطان بإنسان جبان أو وضيع ، ذلك لأنهما يجعلان مثل هذا الشخص أكثر تميزاً ومن هنا يكون جبنه أكثر وضوحاً . وإن كل معرفة تبتعد بصاحبها عن العدالة والفضائل الأخرى إنما تبدو ضرباً من ضروب الاحتيال لا الحكمة . لهذه الأسباب مجتمعة ، ليكن مسعاكم في أول الأمر وآخره وفي كل الأوقات هو أن تبدوا من الإقدام ما تسبقوننا نحن وكل أسلافنا به إلى المجد كلما أمكنكم ذلك . وأما إذا لم يكن ذلك ممكناً ، فإنه في حالة ما إذا تفوقنا عليكم أنتم أبناءنا في مضمار الفضيلة فإن تفوقنا عليكم يجلب علينا العار ولكن عندما تهزموننا فإن تفوقكم يجلب علينا السعادة ، وعلى الأخص عندما نكون نحن المغلوبين وأنتم المتفوقون . ولتحرصوا على ألا تستغلوا أمجاد أسلافكم أو أن تبعثروها إذ أنكم تعلمون بأنه ما من شيء يجلب الخزي على رجل أكثر من أن يكون ذا قيمة لا تزيد على كونه محل تكريم لا من أجل مجده الشخصي بل من أجل أمجاد آبائه . وفي الواقع أن أمجاد الآباء كنز نبيل وعظيم للأبناء، فاذا استخدم المرء كنز ينتسب لشخص آخر، سواء كان هذا الكنز من الثروة أو المجد ، ولا يعمل على أن يقدم منه شيئاً إلى أبنائه ؛ فإنما يكون ذلك بالعمل الوضيع الذي لا يتسم بالشهامة ولا يصدر إلا عن شخص تعوزه الثروة والمجد . فاذا ما رسم مثل هذه المفاهيم التي نحرص عليها ؛ فلسوف تأتوننا كأصدقاء يواجهون أصدقاء ، وذلك عندما يحملكم قدركم المحتوم إلى حيث نحن ، وأما إذا أهملتموها وأصبحتم من فصيلة الجبناء فلن تجدوا

٢٤٧ أ

ب

ح

من يرحب بكم » . ولذلك فلتكن هذه هي كلماتي أيضاً إلى أبنائنا .

ومن كان له منا آباء وأمهات وجب عليه أن يعمل دائماً على مواساتهم حتى يخفف عن كواهلهم المآسى بأسلوب مهذب جداً وألا يشاركم نحيبهم ، إذا ما حدث لهم مثل هذا المكروه ، ذلك لأنهم لن يكونوا في حاجة إلى مزيد من الحزن ؛ فسوء حظهم في ذلك الحين فيه ما يكفيهم من الأسى ، فلنلطف من هذه الأحزان بأن نذكرهم أنه في أشد الأوقات عسراً كانت الآلهة تستجيب دائماً إلى دعواتهم. ذلك لأنه لم تكن دعواتهم بأن ينال أبناؤهم الخلود بل بأن يصبحوا أشداء ذوي بأس حتى ينالوا المجد ، ولقد استجابت الآلهة فكانت نصيبهم الشهرة التي هي من أجل النعم . ولكن ، ليس من اليسر بمكان أن تسير كل الأمور في حياة إنسان وفق ما يصبوا إليه دائماً . وبالإضافة إلى ذلك ، فانهم عندما يحتملون مآسيهم في جلد وشجاعة فانما يبرهنون في ذات الوقت على أنهم آباء لأبناء صناديد وأنهم هم أنفسهم أبطال ، ولكن إذا خنعوا تحت وطأة المآسي فانما يقدمون بذلك أسباباً للشك بأنهم إما ليسوا آباء لنا أو أن من نثروا علينا أكاليل الثناء قد خدعونا. ومن ثم وجب عليهم ألا يسمحوا بحدوث أحد هذين الأمرين وأن يجلبوا علينا هذا المديح بأعمالهم وأن يقدموا الدليل على أنهم حقاً آباء لنا نحن أبطال الرجال. ولقد تبين أن المثل القديم القائل « لا شيء يتغلب » بأنه قول نبيل ، بل إنه في الواقع سديد أيضاً . ذلك لأن مثل هذا الرجل الذي يجعل كل شيء يجلب عليه الخير يعتمد

ء

هـ

٢٤٨ ا

على ذاته هو ، أو ما يقرب من ذلك ، ولا يجعل آماله
٧ معلقة على أشخاص آخرين بحيث تتأرجح آماله صعودا
وهبوطاً إذا ما نالوا شهرة أو عانوا كبوة مثل هذا الرجل ،
الذي يكون قد أعد نفسه لمواجهة تصاريف الحياة على
أفضل صورة ممكنة ، هو الرجل العاقل وهو الشجاع
الرزين . مثل هذا الرجل إنما يجسد هذا القول المأثور
بأكمل ما يمكن عندما يكتسب مالاً أو ولداً أو يخسرهما ،
إنه لا يترك العنان لأفراحه أو أتراحه تسيطر عليه بأكثر
ب من الحد اللازم ذلك لأنه يعتد بنفسه . وإن ما تهفوا إليه
نفوسنا هو أن يكون أحباؤنا على شاكلة هذا النمط من
الرجال وأن يقدموا الدليل الذي يظهرهم بهذا المظهر كما
نفعل نحن الآن على النحو الماثل أمام الجميع . إننا لسنا
بمحزونون أو خائفون بالدرجة التي تزيد عن الحد اللازم ،
وذلك إذا كان يجب أن نكون على هذه الحال إزاء هذه
المحنة الحالية . وأملنا الحق هو أن يمضى آباؤنا وأمهاتنا
ما تبقى لهم من حياتهم وهم متمسكين بنفس هذا النمط
حـ من الفكر ، وأن يعلموا جيداً أن حزنهم ونحيبهم على
فقداننا لن يسدى لنا معروفاً كبيراً . وإذا كان الموتى
يحسون بمشاعر من هم على قيد الحياة فانهم لا يدخلون
على نفوسنا سروراً كثيراً عندما تكون مشاعرهم على هذا
النحو فيحقرون من أنفسهم عندما يحملون مآسيهم بين
ضلوعهم بقلوب هلعة ، ولكنهم يكونون مدعاة لإدخال
البهجة إلى صدورنا عندما يتصرفون برزانة وقلوب ثابتة
الجنان . إنهم عندما يحتسبوننا (في سبيل) (الوطن) فانما
بذلك يصلون إلى قمة ما يصبوا إليه البشر ، ومن ثم

يصبحون جديرين بالتبجيل لا أن نبكي من أجاهم . ولكن ليكن الاهتمام منصباً نحو زوجاتنا وأولادنا فنعمل على تهدئة روعهم حتى نساعدهم على نسيان ما واجهم من عثرة في حظهم وأن يعيشوا حياة نبيلة فاضلة قريبة من قلوبنا .

د

لتكن هذه التوجيهات كافية كرسالة منا إلى ذوينا . وأما أهل مدينتنا ؛ فاننا نتجه إليهم برجائنا ونحضهم على أن يبذلوا عنايتهم نحو آباءنا وأبناءنا إكراماً لنا ، فيقدموا إلى هؤلاء تعليماً منظماً وللآخرين وسائل العيش التي تتناسب مع شيخوختهم . وإننا لواثقون بأنهم سوف يولونهم حسن رعايتهم حتى بدون أن نحثهم على ذلك .

هـ

هذه ، يا أبناء وآباء من سقطوا في وغى المعارك ، هي الرسالة التي كلفونا بأن ننقلها إليكم والتي بذلت ما وسعني الجهد حتى أعلنها أمامكم . وانني بالإصالة عن نفسي ونيابة عنهم ، لأتوسل إلى الأبناء أن يترسموا خطى الآباء ، وإلى الآباء ألا تعتريهم خشية على أنفسهم . فلسوف نهيئ لهم سبل العيش ونوفر لهم الرعاية الواجبة نحوهم على المستويين الخاص والعام ، وذلك حيثما صادف أحد منا شخصاً منكم . وفيما يتعلق بالرعاية التي يجب أن توليها المدينة إياكم ، فانكم تعلمون علم اليقين أنه قد سنت تشريعات خاصة برعاية آباء وأمهات شهداء الحرب . ولقد أصدرت السلطات العليا في الدولة تعليماتها بأن يكون محل الاهتمام الخاص قبل بقية المواطنين ، وذلك حتى لا يلحق بأي من آباء وأمهات هؤلاء الأبطال

٢٤٩ ا

ضير ما . وتساهم المدينة نفسها في تنشئة أبنائهم وتربيتهم كما تعمل جاهدة وبشكل خاص على أن تخفف من شعورهم بفقدان آبائهم إلى أقصى درجة ممكنة . وعندما يكون هؤلاء الأبناء في مرحلة الطفولة فانها تقف منهم موقف الأب ، وإذا وصلوا إلى سن الرجولة تمدهم بعتادهم العسكري الكامل ثم تعيدهم إلى مواطنهم بعد أن تستعرضهم وتذكرهم بمهنة آبائهم . وتقدم إلى كل منهم هدية عبارة عن المعدات التي كان يستخدمها والده واستعرض بها بسالته . وكانت المدينة تهدف بذلك إلى أن يكون مجهزاً بالعتاد الحربي عن سعة عندما يبدأ رحلته إلى موطن والده ، وحتى يحكم هنا وبقوة . ومن ناحية أخرى لم تكن المدينة لتنسى بأي حال أن تقدم واجبات التكريم نحو من استشهد من الأبطال أنفسهم . لقد كانت تقيم في كل عام حفلات الطقوس العامة المعتادة من أجل الجميع ، وبالاضافة إلى ذلك لكل فرد منهم على حدة . وكانت في الوقت نفسه تقيم حفلات الألعاب الرياضية وسباق الخيل وشتى أنواع الموسيقى . ويمكن القول أنها كانت تقف ممن سقطوا في ساحة الوغى موقف الابن والوريث ، ومن الأبناء موقف الأب ، ومن الآباء موقف الراعي . وهكذا نرى أنها تشمل الجميع في كل وقت وأوان بشتى صنوف الرعاية ، التي يجب على كل فرد أن يتحمل مأساته بثبات عندما يتذكرها (الرعاية) . وبهذا يكتسب رضى كل من سقطوا شهداء ومن هم على قيد الحياة ، كما أنه يكون مراعياً للغير وينال رعاية الغير بكل يسر .

والآن ، وبعد أن أديتم ، ومعكم جميع الآخرين

ب

حـ

مراسيم وطقوس الجنازة من أجل شهدائنا طبقاً لتقاليد المدينة ، فلتسيروا في طريقكم .

هاك ، يا مينيكسينوس ، هو خطاب أسباسيا الميليتية .

مينيكسينوس : وحق الإله ، يا سقراط ، أن أسباسيا لتستحق التهنئة إذا كانت ، حسبما تقول ، وهي المرأة تستطيع أن تصيغ مثل هذا الحديث .

سقراط : ولكن إذا كنت لا تثق بي ، فلتأت معي ولتسمعها وهي تتحدث .

مينيكسينوس : لقد قابلت أسباسيا مرات عديدة وإنني لأعلم من أي نوع هي ، يا سقراط .

سقراط : حسنا إذن ، أو لا تثير فيك الاعجاب ومشاعر الوقار نحو شخصها وحديثها ؟

ه مينيكسينوس : حقاً ، يا سقراط ، إنني لأشعر بالامتنان ، من أجل هذا الحديث ، نحو الشخص الذي ألقاه عليك سواء كان رجلاً أم امرأة . كما أنني مدين لمن ألقاه على مسامعي بدين كبير .

سقراط : إن هذا لموقف كريم . ولكن لا تنساني حتى أقص عليك فيما بعد أحاديث أخرى كثيرة وطيبة من أحاديثها التي تتعلق بالسياسة .

مينيكسينوس : لا تخش شيئاً فإنني لن أتركك ، وما عليك إلا أن تحدثني .

سقراط : حسناً ، وهو كذلك . (انتهت المحاورة) .

موضوع المحاورة

ويمكننا أن نستنتج من حديث سقراط في هذه المحاورة عدة نقاط بعضها يمس الجانب السياسي من جانب والبعض الآخر يمس الجانب الاجتماعي . ففي الجانب السياسي نجده ينتقد واقع هذا النظام في أثينا . فرغم أنه من الناحية النظرية كان المجال يسمح بوصول كل فرد يتسم ببعد البصيرة والحكمة إلى أرفع مناصب الدولة ، إلا أنه من الناحية العملية كان الأشخاص الذين ينالون حظاً كبيراً من الثروة والشهرة هم الذين ينالون هذه المناصب . وهذا ينافي وجهة نظر كل من سقراط وأفلاطون في هذا المجال . ومما هو جدير بالذكر في هذا الموضع أن سقراط أو أفلاطون قد استخدما كلمة فيلسوف أو حكيم حسب المفهوم القديم ، شأنهما في ذلك شأن معاصريهما . وكلمة فلسفة كانت تعني شتى أنواع المعرفة العملية والنظرية منها . ومن ثم كانت كلمة فيلسوف تعني الشخص الذي يملك ناصية أكبر قدر من هذه المعرفة[1]. وبالتالي فاننا لا نكون منصفين إذا قلنا بأن أفلاطون كان يعتبر نفسه أعلم الجميع حتى يتولى زمام أمورهم ويصبح حاكماً . وأفلاطون هذا هو الذي أنطق سقراط لكل الأجيال التالية وقال على لسانه « لقد عرفت شيئاً واحداً

---

١. كانت كلمة فلسفة تعني التعليم العالي Haute culture انظر
Platon, ed. Budé 1964, p. 52 (Tome V)

هو أنني لا أعلم شيئاً » . وإذا كان أفلاطون قد ارتبط فكرياً بتلامذة له شاءت الظروف أن يكونوا سبباً في نكبة بلادهم كألكيبياديس أو اشتركوا في مؤامرات مثل كاليبوس في صقلية فإن هذا لا يعني رضاء أفلاطون عن ذلك أو أن ذلك كان بوحي من تعاليمه . لقد كان أرسطيفوس القوريني أول من تقاضى أجراً عن تعليمه من بين تلامذة سقراط ، ولكن ذلك لم يكن بأي حال موضع رضى من جانب سقراط ولا بوحي من مذهبه بدليل أن سقراط قد رفض أن يقبل ما أرسله له أرسطيفوس من مال عندما عرف أنه من هذا الأجر الذي كان يعتبره سقراط مالا حراماً[1] . لقد كان الفيلسوف يعتنق مبادىء معينة يعتبر نفسه أول المسخرين لها ما دامت هذه المبادىء هي المثلى في نظره . وكثيراً ما كان الفيلسوف يضطر للقيام بأعمال قد تعترض مع رغباته ويرى أنها أعمالاً خاطئة ولكنها تتطابق مع وجهة نظر تتمشى والمثل التي يعتنقها ، لقد كان سقراط لا يرى وجوب أو صواب حملة أثينا التأديبية ضد فوكيس ومع ذلك فقد اشترك هو نفسه كجندي في هذه الحملة لإيمانه بوجوب طاعة أوامر مدينته وعدم تخلي المواطن عن نصرة وطنه مهما كانت الظروف[2]. ولعل وجهة نظره واضحة في محاورة مينيكسينوس ، فهو يتهكم من حملات أثينا التي قامت بها لتأديب بعض الدول الهلينية لتوطيد امبراطوريتها بالقوة وإن كان هو نفسه لم يتخذ أبداً موقفاً سلبياً في هذه المعارك . ولقد كتب سوفوكليس مسرحية انتيجوني لينتقد فيها بصورة رمزية سلطة القانون وتسلطه ولكنه كان في الوقت نفسه جندياً مخلصاً كما هو معروف . وانطلاقاً من هذا المفهوم اشترك سوفوكليس في الحملة التي جردت لإعادة غزو ساموس عام ٤٣٠ ق.م ، كما اشترك سقراط في اعادة غزو بوتيدايا Potidaea في بداية الحرب البلوبونيزية . ولذلك وجب علينا تصور موقف

---

(١) انظر عبد الرحمن بدوي، الفلسفة القورنيائية ، ص ٣٦ وما يليها ، حيث يتبين حتى عدم وفاء عدد لا بأس به من تلامذة سقراط له عند محنته واعدامه .

(٢) انظر A. R. Burn, Pericles and Athens, p. 160 sqq.

المفكر عندما يصطدم بالسلطة في بلاده ، وخاصة إذا كان هذا المفكر قد عاش في فترة تبعد عنا بأكثر من أربعة وعشرين قرناً من الزمان . يجب أن نمزج بين أفكاره وسلوكه والظروف المحيطة بهذا السلوك حتى يكون الحكم الذي نصدره حوله فيه معنى الشمول والعدل والحياد والأمانة العلمية . وأظن أن بعض مفكرينا المعاصرين قد أخذوا بعض الجوانب في أفلاطون وأصدروا حولها أحكاماً دوون النظر إلى كل ما يحيط بهذه الجوانب فجاء الحكم غير متسماً بالحياد التام [١] .

وأما من الناحية الاجتماعية ، فإنه من الواضح أن سقراط كان من مؤيدي نظام التكافل الاجتماعي أو ما يمكن أن نسميه في العصر الحديث بالضمان الاجتماعي ضد العجز والشيخوخة . وعندما أراد أن يختم حديثه في محاورة مينيكسينوس أفرد جانباً خاصاً للحديث عن واجب الدولة نحو تأمين رخاء الأيام الأخيرة للشيوخ من المواطنين ، ولم يكتف بذلك بل قال بوجوب مساعدة الأفراد لهم واحترامهم إياهم . كذلك قال سقراط بوجوب كفالة الدولة للأبناء فتقدم لهم التعليم والتربية . ولعل إمداد الدولة لهؤلاء الصبية بالسلاح والغذاء حتى يصلوا مرحلة الرجولة الذي تحدث عنه سقراط إنما يرمز إلى واجب هو جزء من نواحي كثيرة تتكفل بها الدولة نحو سائر أبنائها[٢] . ولست أدري إلى أي مدى يمكن تفسير الفقرة ٤١٠ من جمهورية أفلاطون على ضوء ما ورد في محاورة مينيكسينوس . لم يقل أفلاطون في في محاورة مينيكسينوس على لسان سقراط برعاية الدولة للأقوياء دون الضعفاء وإنما قال برعايتهم جميعاً . ولهذا فانني اعتقد أن مقصد سقراط في هذه المحاورة يمكن أن يلقي ضوءاً على الفقرة ٤١٠ من الجمهورية . وأغلب الظن أن أفلاطون كان يهدف من هذه الفقرة الواردة في الجمهورية ، والقائلة

---

(١) انظر فؤاد زكريا ، دراسة لجمهورية أفلاطون .

(٢) انظر V. Ehrenbery, Sophocles and Pericles, p. 39 sq.

« ان من الواجب أن يعنى الأطباء والقضاة بالمواطنين من ذوي الطبائع الجسمية أو النفسية السلمية ، أما من عداهم ، فسندع منهم أولئك الذين اعتل جسمهم يموتون ، وسيقضي المواطنون ذاتهم على أولئك الذين اعوجت نفوسهم وانحرفت طبائعهم » ، أن البقاء في كل مجتمع ، يريد ويسعى للتقدم والتطور ، للأصلح وأما من تخلف عن الركب فمصيره الانزواء حتى يصل إلى درجة العدم[1] .

ولعله من دواعي الانصاف ألا ننكر على مفكر أن ينادي بمثل هذا الاتجاه عندما نضع ظروف بلده السياسية والعسكرية المنهارة موضع اعتبارنا . ومثل النداء بل والاتجاه يتكرر كل يوم في القرن العشرين على لسان قادة نعتبرهم مصلحين عندما يحاولون أن يرتفعوا بمواطنيهم إلى مستوى الأحداث التي تعيشها بلادهم والأخطار المحدقة بها . وإننا لنفهم بوضوح من قول أفلاطون : « وسيقضي المواطنون ذاتهم على أولئك الذين اعوجت نفوسهم وانحرفت طبائعهم » أنه كان يهدف إلى أن يحث جميع المواطنين على أن يرتفعوا إلى مستوى المسئولية المنوطة بهم تجاه الوطن وأنه لا حياة لمن ضعفت نفسه واعوجت طبيعته وتخلف عن خدمة هذا الوطن. ولو أن أفلاطون نادى بحكم الدولة على مثل هؤلاء الناس بالموت لكان حقاً غير منصفاً ولكنه قال بأن المواطنين هم الذين سيقضون على هذا النوع من المواطنين . ونستطيع أن نفهم مما جاء في الخطبة التي قالها سقراط وحديث من استشهدوا إلى أبنائهم كما جاء في محاورة مينيكسينوس أن كل مواطن يتخلف عن التضحية في سبيل الوطن إنما هو مجلبة للعار ولا يستحق أن يكون ابناً لهذا الوطن ، وعلى ذلك نفهم ما جاء في عبارته السابقة الذكر في الجمهورية أن موت الذين يتخلفون عن خدمة الوطن سوف يكون إعداماً معنوياً لا جسدياً ، وهذه هي النظرة والفكرة الإنسانية التي يمكن أن نتوقعها من فيلسوف ظل موضع الاحترام على مدى أجيال طويلة . لقد كان كل من سقراط وأفلاطون يعيشان سني الديمقراطية الأثينية المنهارة والمهزومة وكانت أفكارهما وعقليهما تبحث عن الوسائل التي تساعد هذه الديمقراطية

---

(١) انظر فؤاد زكريا ، دراسة لجمهورية أفلاطون ، ص ١١٣ .

للخروج من محنتها، ولقد وتخبط رجال من أمثال الخطيب أنتيفون عندما قاموا بثورة في عام ٤١١ و ٤٠٤ ق.م بحثاً عن نظام جديد ، وكانت المآسي التي لحقت بهما[١] ، .

تناول الباحثون تاريخ محاورة مينيكسينوس ، فأرخها دوملر بفترة قليلة بعد عام ٣٩١ أو ٣٩٠ ق.م [٢] ، ولكن لما كانت تتحدث عن سلام أنتالكيداس فإنه من العسير القول بأنها تسبق عام ٣٨٧ ق.م. كما أنه لا يجب القول بأنها قد كتبت بعد هذا التاريخ الأخير بفترة طويلة حيث أنها لا تحتوي على أية إشارة للأحداث التي تلي ذلك[٣] . وعلى ذلك فإنه من المرجح أنها جاءت في تاريخ قريب من عام ٣٨٦ ق.م [٤] .

---

(١) لقد أدى هذا الغليان إلى حدوث ثورة ضد كل مفكر ينادي بالعودة إلى الديمقراطية في فترة الهزيمة وكانت النتيجة إعدام سقراط وخروج أفلاطون من أثينا ، وفي فترة ضعف كل دولة أو هزيمتها غالباً ما تندلع ثورة يمكن القول بأنها ثورة أهلية بصورة أو بأخرى . وما حدث في أثينا كان على صورة مذابح قام بها الطغاة الثلاثين ويقول المثل « النار تأكل بعضها ما لم تجد ما تأكله » وشرع الأثينيون في الانقضاض كل فئة على أخرى . انظر Plato, Politicus ارنست باركر ، النظرة السياسية عند اليونان ، الجزء الأول ص ١٧٠ – ١٧٧

G. Glotz, the Greek City, p. 146 sqq.

(٢) F. Dümmler, Akademika, p.21

(٣) ولقد وصل ريدر (H. Reader, Platons Philosophische Enturichelung, p. 125) إلى هذه النتيجة بناء على ظاهرة الانفصال anachorism التي تبدو في المحاورة. ويؤرخ ڤندلان (Wendland, Die Tendenz des Platonischen Menexenus) في مجلة Hermes, 1890, p.192 هذه المحاورة فيما بين ٣٨٧ (أو ٣٨٥) و ٣٨٠ ق.م .

(٤) يؤيد ڤيلاموڤيتز (U. von Wilamobitz — Moellendorff, Platon, Zweiter Band, Augflage) (Berlin, 1920, p. 127). وكذلك هوفمان

M. Hoffmann, Zur Erklärung Zeitschr. f. d. Gymnasialw, LIX, 1905, p. 328. وهولترمان

Platonischer dialoge Hoeltermann, Platos Polemik im Menon, Euthydemos und Menexenus, Z. f. Gymnasialwesen, 1909, 2 - 3, p. 81 sq.

يضعان المحاورة في حوالي عام ٣٨٧ ق.م .

ولنتناول الآن محاورة مينيكسينوس بالفحص حتى يتسنى لنا إلقاء أكبر قدر من الضوء على الجوانب المختلفة فيها وليسهل إدراك ما قصده الكاتب من ورائها . تبدأ المحاورة بسؤال يوجهه سقراط إلى الشاب مينيكسينوس عما إذا كان قد انتهى من تعليمه παιδευσις وكذلك من دراسته العالية φιλοσοφία : تلك المراحل التي كانت معتادة بالنسبة لشباب الطبقة الغنية . وهذا في الواقع سؤال تهكمي من جانب سقراط إذ يسخر فيه من أولئك الذين كانوا يرون في الفلسفة متعة للشباب ولكنها لا تغدو عملا يتناسب مع الكبار الذين كانوا يرون بضرورة التخلي عنها وعن المراحل التعليمية عندما يصلون إلى سن الرجولة والانغماس في مجالات الأعمال السياسية[١] . ويجيب مينيكسينوس بلهجة وقورة بأنه يطمح إلى تولي منصب في الدولة ولكنه سوف يخطط لذلك طبقاً لما ينصح به استاذه .

ويتطرق الحديث إلى الخطب التي كانت تلقى في ذكرى من استشهدوا فداء الوطن وينتهي أمر هذا الحديث إلى أن يرجو مينيكسينوس أن يستمع من سقراط إلى نماذج منها . وكانت الخطب الجنائزية قديمة الشيوع في أثينا وربما يرجع تاريخها إلى ذلك التقليد الذي أصبح كتشريع فيما بعد الحروب الميدية . ويحكي باوسنياس أن هناك نقش على شاهد قبر فخاري مهدى إلى جنود يرجع تاريخه إلى ما قبل الحروب الميدية[٢] . وكانت الاحتفالات الجنائزية Epitaphia تقام سنوياً على مستوى الدولة . ويقال أن سولون المشرع الاثيني هو الذي شرع هذا التقليد أو أعاد تنظيمه[٣] . وبعد إنشاء الثيسيون Thesion أصبحت الأعياد التي تقام على شرف أسطورة ثيسيوس

---

(١) ويتضح هذا المثل في شخصية كاليكليس فيمحاورة جورجياس ٤٨٤ حـ وما يتبعها. انظر :
Wendland, Die Tendenz etc., p. 171 ; H. Reader, Platons philosph. Entwick., p. 126.

(٢) انظر Pausanias, I, 29, 5

Diogenes Laert., Sol., 8.

أعياد مقدسة تقيمها الدولة سنوياً . وفي الفترة من الخامس إلى السابع من اكتوبر من كل عام ، كانت كل قبيلة من القبائل العشرة التي انقسم إليها اقليم أتيكا تشارك في هذا الاحتفال وتقدم سريراً خالياً كرمز لضحاياها[1] . وكان اليوم السابع هو يوم الاحتفال الجنائزي . وعند لحظة الدفن يقوم خطيب تحدده الجمعية العمومية بناء على اقتراح من المجلس ويلقي خطاباً[2] . وبعد أن تنتهي هذه المرحلة من المراسم والطقوس يأتي دور المسابقات الرياضية والفنية التي يقوم بها الشباب تحت اشراف بوليمارك[3] .

وعلى الرغم من قصر محاورة مينيكسينوس إلا أنها احدى محاورة أفلاطون التي تثير عديداً من المشاكل . لقد خلقت في الواقع نوعاً من الأدب الجدلي Exegetic . فما هي العلاقة بين الحديث الذي ساقه سقراط وبين الحوار الذي دار فيها ؟ هل يجب أن نأخذ هذا الحديث مأخذ الجد ؟ أو أنه كان على العكس على سبيل التسلية أو أنه كان هزل جاد أو أنه كان المقصود منه السخرية ؟ هل أراد أفلاطون أن يشير إلى معاصريه من الخطباء عما يجب أن تكون عليه خطب الرثاء أو أنها ما كان يجب أن توجد ؟ وإذا كانت هناك سخرية ، فهل كانت موجهة ضد الريطوريقا المعاصرة أو ضد الجمهور الأثيني ؟ هل كانت الجدية تختلط بنوع من الهزل ؟ هكذا نجد أن هناك مشاكل تحتاج إلى اجابات شافية . والواقع أن الاجابة عليها تكمن جزئياً في تحليل الحديث نفسه وإن التحليل الواعي لهذا الكتاب ، عندما يعتمد على الشكل والمضمون ، ليسمح بأن يكون من الممكن اصدار حكماً على ما فيه من نقط هامة .

---

(١) Thucyd., II, 34, 3

(٢) Jhucyd., II, 346, ; Demosth., Cour., 320

(٣) Plato, Menexenus, 294 b. ; Lysias, II, 80 sq.

ليس هناك من شك حول المعنى الذي يقدمه مدخل الحديث [١] ، إذ يبدأ سقراط حديثه بالسخرية ممن يدبجون خطبهم الرثائية بصورة تقليدية لا تتغير ، ولا يجد مينيكسينوس ما يرد به عليه عند إدراكه لهذه السخرية سوى قوله : « إنك لدائم السخرية من الخطباء » [٢] . فما هو الأساس الذي يشن عليه سقراط حملته ؟ لقد كان يهاجم موضوع المرثية ذاته . إنه يسخر من الخطيب الذي يقوم متكلماً فيمدح الأشخاص بما فيهم من صفات وبما هو غريب عنهم من الثنايا والتفخيمات [٣] . كما أن هذه الخطب لم تكن من ذلك النوع الذي تلهمه العواطف التي تثيرها ظروف معينة ولكنها كانت من ذلك الصنف المنمق المصطنع الذي لا حياة فيه ، يعدها الخطيب سلفاً وقبل وقت القائها بفترة طويلة ولا تأتي بجديد ولكنها تتناول موضوعات عامة يعرفها الجميع وتتمشى مع كل الظروف . ولم تكن عبارات الثناء تهتم في المقام الأول بما يتميز به الأشخاص من نبل في حق وعدل بل إنها كانت تعج ابعبارات التملق الممجوجة المنمقة [٤] . كما يلقي سقراط باللوم على جمهور المستمعين لأن هذا الجمهور هو الذي يسمح بهذه المرثيات التي تعج بعبارات التفخيم ولا تقتصر في ثنائها على من استشهدوا ولكنها تسهب في مديح جميع من المدينة الأحياء منهم والأموات . وفي هذا المجال تبدو لنا رشاقة العبارات التي يسوقها سقراط وسحرها عندما تطرق أذني المستمع لها : فهناك العظمة البادية أمام ناظريه وعبارات الثناء التي تحمله إلى عالم الأبطال ويتوه سقراط بين جوانبها وتتملكه حالة من الغيبوبة ويتخيل نفسه أحد الأبطال العظام وأنه قد أضحى شخصاً أسطورياً حملته الرياح إلى جزر السعادة ويظل عدة أيام محلقاً فوق عبارات الخطباء قبل أن يثوب إلى رشده [٥] .

---

(١) Menexenus 234 a - 236 d.

(٢) Menexenus 235 c.

(٣) Menexenus 234 c - 235 a.

(٤) Menexenus, 335 a.

(٥) Menexenus, 235 a - c.

ولا يملك إزاء هذا إلا أن يثني على ذكاء هؤلاء الخطباء . ولكن ما أن يفيق من دوار العظمة الجوفاء حتّى يحكم على هؤلاء الخطباء بأنهم لا يستحقون فضلاً على حديثهم الذي أعد ونمق سلفاً ، وأن من السهل أن يحظى الإنسان على اعجاب مستمعيه إذا كانوا هم المقصودون بكل هذا الاطراء[1] . ويتحدى سقراط ويعلن عن استعداده لكسب مثل هذا الرضى إذا كلف بالقيام بمثل هذا الحديث . وزيادة على ذلك ، يعتبر سقراط أن القاء خطاب من الثناء نوع من اللهو والسخرية ، إذ يقول لمنيكسينوس أرجو ألا تسخر مني وأنت تراني ألهو وأنا في مثل هذا السن ، وذلك عندما طلب منه أن يلقي عليه نموذجاً من مثل هذه الأحاديث . ويتمادى سقراط في سخريته عندما يقبل أن يجيب مينيكسينوس إلى طلبه قائلاً : لسوف أفعل ما تطلبه مني حتّى ولو كان رضائك في أن أرقص ما دمنا وحدنا [2] .

ويبدأ سقراط في خطابه الذي يجيب به مينيكسينوس إلى طلبه . ويرتب نقاطه على النحو الذي يراه الأصلح متبعاً فيها النهج التالي :

الديباجة أو الافتتاحية ويليها ذكر أسباب الحديث ثم تحديد النقاط التالية . وبعد ذلك يأخذ في مديح من استشهدوا وتقديم واجبات العزاء ثم مواساة من هم على قيد الحياة . ويضمن حديثه الحض والتشجيع إلى أبناء وآباء الشهداء، وأخيراً مواساة الوالدين لفقدان أبنائهم .

ويجب أن يكون ترتيب مواضيع الحديث متمشياً مع نظام الطبيعة . وأول ما يوجه الحديث إليه هو نبل المولد ثم التربية والتعليم الذين حصل عليهما هؤلاء الأبطال ، وبعد ذلك ما أنجزوه من أعمال . أما من ناحية نبل المولد فانه يبنيها على نقطتين : أولهما أن أثينا كانت دائماً موضع حب الآلهة والدليل على ذلك النزاع الذي نشب بين الآلهة على تملك هذه المدينة ، وثانيهما

(١) Menexenus, 235 c

(٢) Menexenus, 236 c.

أن أثينا كانت الوحيدة التي لم تشأ أن تنجب إلا أنبل الأحياء . وأما فيما يخص التربية والتعليم التي حظى بها الأثينيون ، فانها تقوم على ثلاث عوامل أولها الدليل على أصالة ، autochtonia الأثينيين ، إذ أن أرضهم كانت الوحيدة في هذه الأزمنة الغابرة التي تنتج قمحاً وشعيراً ، وهما الغذاء الطبيعي للبشر ، وكذلك الزيتون . وثانيها الدليل على نوع ثقافتهم بأن منحتهم الأرض الآلهة ليكونوا سادتهم ومعلمين لهم . أما العامل الثالث فكان نظامهم السياسي ، الذي كان الحكم فيه لطبقة المتازين aristocracy تحت ظل الديمقراطية . وأخيراً يصل سقراط إلى الموضوع الأكبر والأخير ألا وهو منجزات الأثينيين . وبعد أن يستهل هذا الموضوع يبين كيف أن مواطني أثينا قد ترعرعوا في ظلال الحرية وأنهم اعتبروا أنفسهم حماة لهذه الحرية وحاربوا، من أجل حرية الإغريق، كلا من الإغريق والبرابرة . ومن الأمثلة التي قدموها في هذا المضمار صراعهم ضد أيومولبوس والأمازون وضد الطيبيين من أجل الأرجيين وضد الآرجيين من أجل الهيراكليين . ويمر الخطيب على مثل هذه الأحداث الكبرى مر الكرام لأنها قد نالت من التفخيم قسطاً وافياً ، وينتقل إلى أحداث أخرى لم تنل حظها الوافر من التبجيل كما كان يعتقد[1] . إنه ليسرد بايجاز تاريخ الحروب الميدية وفتوحات ملوك الفرس قيرش وقمبيز وداريوس . ومن ثم ينتقل إلى المعارك التي ظهرت فيها بطولات الأثينيين بصفة خاصة . فها هي معارك ماراثون وسلاميس وأرتميزيوم وبلاتايا التي تجلت فيها روح الأثينيين المعنوية العالية وبرهنت على نبل المحتد والشجاعة والتضحية بلا أنانية ، تلك الأمور التي تميز بها الأثينيون في كل معاركهم من أجل حرية بلاد اليونان[2] .

وهنا يجدر بنا أن نقف لحظة كي نقوم بالقاء نظرة على ماهية المعارك التي خاضها الأثينيون وسقط منهم صرعى فيها . وما كان المرء يتوقعه هو

---

(١) Plato, Menexenus, 236 - 239.

(٢) Plato, Menexenus, 239 - 241.

أن يقوم فيلسوف كبير مثل سقراط بالقاء عبارات التكريم على من سقطوا في معارك التحرير التي كان يراها كذلك ثم يمر سريعاً أو يتجاهل تلك المعارك التي لم يكن يرى داعياً لحدوثها أو الحملات التي لم يكن ليوافق عليها . ولكن عندما نقوم بفحص المعارك التي يرى سقراط أكثر من غيره أنها جديرة بالذكرى أكثر من غيرها نجد أنه يذكر حروب الأثينيين ضد الأغريق والحرب مع بيوتيا وحرب أرخيداموس والحملة على صقلية وأخيراً الحروب الأهلية وحرب كورنثة . فاذا قارنا ما خصه سقراط من المعارك بالذكر مع تلك التي مجدها الآخرون في مواضع أخرى لوجدنا أن سقراط كان في الغالب يقصد أن تنال كل معركة سقط فيها رجال من الأثينيين حظاً وافياً من التكريم . ولعله من الواضح أن سقراط لم يفرق في مديحه بين نوعية المعارك سواء كانت تتطابق وموافقته أم لا ، ما دام قد سقط فيها أثينيون . فالجندي الأثيني الذي سقط في سلاميس يستوي في التكريم في نظر سقراط مع الجندي الأثيني الذي سقط في الحملة على صقلية أو في الحرب الأهلية ، كلهم سواء ما داموا يؤدون واجبهم في طاعة الدولة . وهذا الاعتقاد ، في الواقع أنه يتفق ومبادىء سقراط الذي يرى بواجب طاعة أوامر الدولة حتى ولو كان في ذلك التضحية بالنفس في معركة لا يوافق عليها هو كما فعل في الحملة لإعادة غزو بوتيدايا عام ٤٣١ ق.م. وعندما يستوجب سقراط تكريم كل جندي سقط في كل معركة من أجل وطنه مهما تكن نوعية هذه المعركة ، فإنه يؤكد بذلك مبدأ طاعة الدولة ونصرتها في كل الأحوال وتحت كل الظروف [١] .

وفي النهاية ، يعطي سقراط كبير اهتمامه لمواساة وتشجيع الأبناء والآباء فهو ينقل للأبناء آمال الآباء الأبطال الشهداء في أبنائهم وما يتوقعونه منهم من ناحية، وينقل إلى آباء هؤلاء الشهداء وأسرهم مشاعر من سقطوا من أبنائهم

---

(١) Plato, Menexenus, 241 - 246.

وما يجب عليهم أن يسلكوه في هذا الوقت . كما يذكر الجميع بما يجب على الأفراد والدولة نحوهم ويثير في نفوسهم الاطمئنان على مستقبل الأيام . ويخص الأبناء ، في نفس الوقت ، على أن يجدوا ويجتهدوا ويتمسكوا بكل فضيلة ويصروا على أن يتفرقوا آباءهم وينبذوهم في كل مضمار[1] .

موضوع الخطبة

هناك بعض النقاط التي نود أن ننوه بها كما جاء في حديث سقراط وذلك قبل أن ننتقل إلى نقطة أخرى. إنه لمن الواضح أن سقراط يرى أن تكون لموضوعات الخطابة أهدافاً محدودة مستقاة من تاريخ الأمة وتجاربها حتى تكون درساً لحاضرها ومستقبلها . التاريخ العالمي يقول أن الدولة هي راعية الرجال ودولة الصالحين صالحة ودولة الأشرار على عكس ذلك . الأبطال هم نبت دولة نبيلة ، وفي هذه الدولة النبيلة يتمتع الكل بالمساواة وينعم بحقوقه طبقاً لمقدرته ومواهبه . والدولة التي لا عبيد فيها ولا سادة تحكم فيها الطبقة الممتازة الارستقراطية في ظل الديمقراطية . ولعل الفيلسوف الذي ينادي بالمساواة بين المواطنين وأنهم جميعاً نبت الأرض الطيبة أي متساوون في الأصل لن يفضل طبقة على أخرى إلا بمقدار ما تتميز به من حكمة وعلم ، ولعل هذا القول يتطابق مع آيات كثيرة وردت في القرآن الكريم منها « وهل يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور » . وهذا في اعتقادي ما نادى به أفلاطون على لسان سقراط .

ومن النقاط التي يثيرها سقراط في هذا الحديث ، أن الدولة التي تجعل من نفسها حامية للحرية والديمقراطية كما فعلت أثينا إبان الحروب الفارسية والحروب المتفرقة بين الدول الإغريقية يجب أن تضع نفسها في موضع الدولة الممتازة ولكن بين دول متساوية primus inter pares . وكانت هذه هي

(١) Plato, Menexenus, 246 - 249.

العبرة التاريخية التي يجب أن تضعها أثينا نصب عينيها . فعندما تخطت أثينا هذه الحدود وجعلت من نفسها حامية للدول الإغريقية الأخرى وفرضت نفسها سيدة عليها بانشائها الامبراطورية الأثينية وفرضها بالقهر والقوة لم تجلب على نفسها وعلى بقية قريناتها وعلى الأخص اسبرطة سوى الحقد والكراهية والدمار[1] . لقد تآمرت دول اغريقية كثيرة ، كما يقول سقراط ، على أثينا وأثارت ضدها ضغينة معظمهم ، وهذا فعلا ما قامت به كورنثة في إبان معمعة الحروب البلوبونيزية . وكانت من نتائج الحروب البلوبونيزية انهيار أثينا وتحطيم أسوارها واسطولها وانحلال الحضارة الهلينية إلى غير عودة . وفي هذا المجال يثير سقراط نقطة هامة يجب أن تكون عبرة لتاريخنا المعاصر كله عندما يؤكد أنه من العسير أن تأتي هزيمة أمة من الخارج ولكن الهزيمة الحقة إنما تأتي من الداخل . تقع الأمم فريسة للهزيمة عند تفكك الأواصر المترابطة في هذه الأمة وتسيطر عليها أحقادها ، أي أنه تأتي الهزائم للأمم على يديها ذاتها لا على يد قوة أجنبية ، ولا تستطيع قوى العالم أجمع أن توقع هزيمة ساحقة بأمة متكاتفة مترابطة . والأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا .

وأما عن أسلوب سقراط الذي اتبعه في حديثه فقد سار على النحو التالي : لقد اتبع في الجزء الأول منه الموضوعات التقليدية في المجتمع encomion ، كما تناول عند مديحه أثينا مواضيع عامة معروفة من قبل[2] . وإننا لنجد ذكراً لهذه الأشياء عند هيرودوت وأريستوفانيس والشاعر يوريبيديس والخطيب إيسقراط[3] . ولقد وجدت على سبيل المثال فكرة مقارنة الوطن بالأم

---

(١) انظر حول هذا الموضوع

A. R. Burn, Pericles and Athens ; V. Ehrenberg, Sophocles and Pericles

حيث يتبين حتى عدم رضاء معظم الأثينيين عن هذا الاتجاه .

(٢) Wendland, Die Tendenz des Platonischen Menexenus, p. 186 - 7.

(٣) Aristoph., Wasps. V, 1076; Herodot., VII, 161 ; Euripid., Med., 825 sq., Ion., 267, 589 - 90; Euripid, Frag. 362 (Erechtheus) V, 7 sq.; Isocrat., Panegyr., 24, 63; Panath., 124.

عند كثيرين سبقوه إلى هذا التشبيه(١) . كذلك موضوع النزاع الذي حدث بين الإلهة أثينا والإله بوسيدون الذي تحدد الأساطير الأتيكية مكانه بأنه قد وقع فوق الأكروبول من الناحية اليمنى وذلك حيث شيد الإريختيون وإننا لنجد في أسفل معبد الإريختيون نافورة مقامة على شكل صولجان بوسيدون ترتبط بهذا الحادث . كما أنه قد نقشت هذه الأسطورة على الواجهة الغربية من البارثنون . ولقد سبق أيضاً أن ذكر الاحتفال الذي أقيم على شرف أسطورة تريبتوليموس Triptolemus وهم أبناء كيليوس Celeos ، هذه الأسطورة التي يقال أنها مجدت ذكر أول حبة قمح أخذت عن ديمترا Demeter في إليوسيس . وأما تمجيد النظام الديمقراطي الذي ساد في أثينا والذي وصفه سقراط بأنه حكم الارستقراطية فقد سبق أن قال به إيسقراط من قبل(٢) ، ولم يأت سقراط أيضاً بجديد عندما تحدث عن الانتصار على الأمازون وكذلك الدفاع الذي قام به الآرجيون ضد الطيبيين في حرب السبعة ضد طيبة وبالمثل حرب الهيراكليون ضد إيورسيثيوس ، وإنما يرد ذكر هذه الأحداث جميعاً عند هيرودوت وكسنيوفون وإيسقراط(٣) . وكان من الموضوعات التي جاء بها سقراط لمدح أثينا ؛ هي المساعدة التي قدمتها أثينا إلى الهيراكليين ، ولقد سار أرسطو على نهج أفلاطون فيما يتعلق بهذا الحادث(٤) ، كما هو الحال بالنسبة لما ذكره عن الحروب الميدية(٥) . وإذا قارنا حديث سقراط

---

(١) Isocrat., Panegyr., 25; Isocr., Archid., 108;Plato, Rep..,470 d; Lycurgus, C. Leocr., 21, 74, 85.

(٢) Isocrat., Panath., 131; Areop, 20.

(٣) Herodot., IX, 27; X enophon., Hellen., VI 5, 46 sq.; Isocrat., Panegyr., 70, Archid., 42; Areopag., 75; Panath., 168 - 171.

(٤) Aristot., Rhet., II, 22, 1396 a.

(٥) Isocrat., Panegyr., 71 sq.; Aristot., Rheto., II 22.

في محاورة مينيكسينوس بالخطب الجنائزية التي لا زالت باقية فلسوف نجد أنها تتشابه من ناحية التقسيم الرئيسي ، أي المديح والمواساة . وأننا لنرى في الخطبة التي يوردها ثوكيديديس على لسان الزعيم الأثيني بركليس والتي ألقاها في شتاء ٤٣١ — ٤٣٠ ق.م ، وفي الخطبة الجنائزية المنسوبة إلى ليسياس ، وفي المرثية التي يقال أن الخطيب الأثيني ديمسثنيس قد ألقاها[١] ، أنه ليس هناك مثل تلك المقدمة التي قد نتوقعها من خطيب عظيم . ومن المحتمل أن هذه المقدمة إنما أهمت فيما بعد للخطباء بعد محاورة مينيكسينوس . ولكن مثل هذه المقدمة تظهر واضحة في تلك المرثية التي دبجها هيبيريديس في عام ٣٢٣ ق.م من أجل من سقطوا في الحرب اللامية أي بعد تاريخ محاورة مينيكسينوس . وفيما بعد ذلك فاننا نجد في هذه الخطب معظم الموضوعات التي تحتوي عليها محاورة مينيكسينوس . فيرسم لنا حديث بركليس وكذلك ليسياس وديمسثنيس وهيبيريديس صورة واضحة عن أصل الشعب الأتيكي[٢] كما ينادي ديمسثنيس بأن أتيكا كانت أولى الأراضي التي أنبتت غذاء الإنسان الضروري[٣] . ولم ينس ثوكيديديس أن يطري أسلاف الأثينيين[٤] . كما مجد كل من ليسياس وديمسثنيس انتصارهم على الأمازون ودفاعهم عن الآرجيين ضد الطيبيين وكذلك حمايتهم للهيراكليين[٥] . ولقد أسهب كل من ثوكيديديس وليسياس في مدح الدستور الأثيني وأشار إليه ديمسثنيس[٦] . ولقد أفسح ليسياس مكاناً لتمجيد الحروب الميدية ، كما تحدث عنها كل من ديمسثنيس وهيبيريديس بصورة عابرة نوعاً ما[٧] . وأما عن نظام التعليم ،

---

(١) Thucydid., II, 35 sqq.; Lysias, II.

(٢) Thucydid, II, 36 ; Lysias II, 17 ; Pseudo-Demosthenes LX, 4; Hyperides, 8.

(٣) Pseudo-Demosthenes, LX, 5.

(٤) Thucydid., II, 36.

(٥) Lysias, II, 3 - 16; Pseudo-Demosthenes, LX, 8.

(٦) Thucydid., II, 37; Lysias, II, 17 - 19; Pseudo-Demosthenes, LX, 25 - 26.

(٧) Lysias, II, 20 - 47; Pseudo-Demosthenes, LX, 10 - 12; Hyperides, 35 - 40.

فقد رسم له ديمستنيس صورة وافية وفي نفس الوقت نجد أن هيبيريديس قد جاء بذكر له[١] . وأما ذلك الاعتقاد بأن أثينا كانت دائماً رائدة الحرية والعدالة والذي تردد في محاورة مينيكسينوس ، وكذلك أنها كانت لا تتردد عن حماية وخدمة كل بلاد اليونان ، هذا الاعتقاد كان شائعاً بين معظم المفكرين الإغريق وقد لاحظناه من قبل في المرثية التي ألقاها بركليس في عام ٤٣١ — ٤٣٠ ق.م كما ردده كل من ديمستنيس وهيبيريديس[٢] .

المراثي كأحد فنون الخطابة :

لا شك أن المرثيات كانت تعتبر كإحدى فنون الخطابة ، ومن ثم وجب أن نحدد موقفها وموقعها بين هذه الفنون وفي أي مرحلة كانت نشأتها . يقال أن فن الريطوريقا قد ابتكر في الربع الثاني من القرن الخامس بسراقوسة في صقلية، وذلك على أثر طرد الطغاة السيراقوسيين ، وأن تيسياس وقوراقس قد تعهدا بتعليم فن الريطوريقا القضائية إلى هؤلاء الذين اعتادوا مخاطبة الجماهير . ويقال أيضاً أن هذا الفن قد جاء إلى أثينا على أثر حضور السفسطائي الشهير جورجياس من ليونتيني Leontini لطلب المساعدة الأثينية في عام ٤٢٧ ق.م. [٣] وكان السفسطائيون يعتبرون أنفسهم معلمين وليسوا فلاسفة[٤]، كما لم تكن الريطوريقا نتيجة للسفسطائية ولكن العكس هو الصحيح. كانت الريطوريقا فن قديم النشأة عند الإغريق ولكن كان الفضل يرجع إلى السفسطائيين إذ عملوا على بلورتها وشد الانتباه إليها كفن . ورغم هذا لم يكن جورجياس هو نقطة التحول في الريطوريقا وإنما كان شخصية بارزة في هذا المضمار .

(١) Pseudo-Demosthenes, LX, 16 sq.; Hyperides, 8 - 9.

(٢) Thucydid., II, 40; Pseudo-Demosthenes, LX, 16 - 25; Hyperides, 4 - 5.

(٣) Diodorus Siculus, 12, 53, 2.

(٤) Plato, Protagoras, 318 d 5; Rep., 600 c 2 sqq.

وهناك عدة ظروف كان لها تأثير كبير في تطور فن الريطوريقا ، فحتى فترة زعامة الديمقراطي إفيالتيس عام ٤٦٢ ق.م كانت المحاكم تتكون من أشخاص غالباً ما يكونون فرادى عند نظر القضايا ، أو من الآريوباجوس الذي كان يتكون من هيئة مدربة حيث كان أعضاؤه من الموظفين السابقين[١]. وبعد أن تمت الإجراءات الديمقراطية التي قام بها إفيالتيس وساعده فيها بركليس وتحولت معظم أنواع القضايا إلى سلطة المحاكم الشعبية المسماة هيلياي Helieae والتي كان أعضاؤها يصلون إلى ستة آلاف عضو وتفرعت عنها أشكال أصغر من المحاكم تسمى ديكاستيريا Dikasteria عدد أعضائها ٢٠١ عضو ليست لهم دراية قضائية أو إدارية ، كانت العاطفة تتغلب في معظم الأحيان وتؤثر على سير القضايا المنظورة أمامهم كما يظهر في المثال الذي يصوره أيسخولو س في مسرحيته Eumenides . لم يكن هناك محامون كما لم تكن هناك فرص كافية للدفاع . ومن هنا كانت فرصة المواطن الذي يضطر للوقوف أمام هذه المحاكم في النجاة تكمن في استطاعته أن يكون خطيباً مؤثراً يدبج حديثاً طويلاً يستدر به عطف قضاته بذكاء ، ذلك لأن هؤلاء القضاة لم يكن في استطاعتهم متابعة المنطق[٢] . ونتيجة لهذا تناولت جميع الكتب المبكرة عن الريطوريقا تفسير النوع القضائي منها .

ومع إطراد الحركة الديمقراطية واتساع القاعدة السياسية وتطور الشئون القضائية ؛ ازدادت حاجة الناس إلى تعلم فنون الخطابة السياسية . ولقد تعهد السفسطائيون بهذه المهمة . ويعتقد فيلاموفيتز أن أصل النثر الأدبي الأتيكي إنما يوجد في الصراع السياسي بين الأوليجاركيين والديمقراطيين وعلى الأخص في القرن الخامس[٣] . وقد كان الفضل يرجع إلى الديمقراطية في ازدياد عدد

---

(١) Aristotle, Rhetoric, 1354 a 23.

(٢) Thucydides, V, 85; Aristotle, Rhetoric, 1414 a 8 qq.

(٣) U. von Wilamovitz — Mallendorf, Aristoteles und Athens, I, Berlin, 1893, p. 167 ff.

الخطباء وعدد المستمعين . وعندما وصل الحكام الثلاثون إلى الحكم أصدروا أوامرهم إلى معلمي الريطوريقا بالكف عن ممارسة عملهم[1] . لقد تأكدت قوة الكلمة وظهر واضحاً أنها كانت تحقق للمواطن النجاح والأمن ، وأصبح الاعتداد بالنفس في المناقشات مظهراً للديمقراطية الإغريقية . وتظهر قيمة الريطوريقا في تأثيرها على ذلك الحوار الذي دار بين كريون وهايمون في مسرحية أنتيجوني لسوفكليس[2] . ومع حلول كارثة الحروب البلوبونيزية على أثينا وانتشار الشعور العام بالفصاحة ونمو النظرية الريطوريقية ؛ ارتقى وسما فن الخطابة البليغ المنمق على صورة مراثي جنائزية Epitaphoi والتي حلت محل أشعار الرثاء ثم تبع ذلك فن خطابة السفسطائيين ، وأخيراً ظهر فن الخطابة من أجل الخطابة . وعلى ذلك يكون فن المرثيات تمثيل لمرحلة محددة من مراحل تطور فن الخطابة . وأن هذا الفن قد جاء كما سبق أن ذكرنا ليوفي بحاجة فترة مرت بها أثينا ألا وهي فترة الحروب البلوبونيزية وما تبعها من كوارث .

وكانت الأجزاء الرئيسية التي تميز الريطوريقا بعد أن تطور فنها هي الابتكار والتنظيم والأسلوب . وكان الجزء الأول يمثل الناحية العقلانية في فن الجدل ، ذلك أن كتاب الجزء الأخير من القرن الخامس كانوا مغرمين بالتدريبات الجدلية على الرغم من أن حججهم غالباً ما تكون أقرب إلى البساطة . لقد كان على الخطيب أن يبين ما إذا كان الحديث الذي يتناوله لائقاً أو عادلاً من الناحية الموضوعية وعما إذا كان ممكناً ومجلبة للشرف أو على العكس من ذلك ويقدم أدلته عما يقول . كان هذا هو العرف السائد بين الكتاب في القرن الخامس كما يظهر في موضوع مسرحية أنتيجوني

---

(١) Xenophon, Memorabilia, 1, 2, 31.

(٢) Sophocles, Antigone, 724 sqq.; Thucydides, II, 40, 2; III 82, 3; J. H. Finley Euripides and Thucydides, Harv. Stud. in Classical Philol., 49 (1938) p. 41 sqq.

لسوفكليس عن طبيعة العدالة وعلاقتها بالقانون المدون[١] ، وكما كان الحال في مؤلفات ثوكيديديس ومعظم مسرحيات يوريبيديس . وانطلاقاً من نقطة البحث عن ما هو لائق وما هو عادل حاول خطيب القرن الخامس البحث عن أسلوب أو مفهوم عقلي جديد لتفسير سلوك الفرد أو الدولة، وكان هذا الأسلوب الجديد هو صيغ الاحتمال Probability وينسب أفلاطون إلى جورجياس مناقشة موضوع الاحتمال ، كما يقول بأن تيسياس قد ساهم بنصيب في هذا الأمر[٢] ، إذ أنهما كانا يبجلان الاحتمال أكثر من تبجيلها للحقيقة التي قد تكون هي ذاتها غير قابلة للاحتمال Improbable . ولقد كانت المناقشات القائمة على الاحتمال معروفة في أثينا قبل وصول جورجياس إليها في عام ٤٢٧ ق.م ، فعلى سبيل المثال نجد أن كريون يجادل بأنه لم تكن له دوافع كي يحل نفسه في مكان أوديب كملك ويبني جدله على الاحتمال[٣] . ولقد حذا يوريبيديس حذو سوفكليس في استخدام اساوب الاحتمال[٤] . وقد ارتبط الجدل الاحتمالي ، الذي كان من نتاج الريطوريقا ، بالسفسطائيين . ولما جاء أرسطو اقتبس من الجدل الاحتمالي وحوله إلى فن متكامل[٥] . وكان الجدل الاحتمالي يعتبر سيفاً ذو حدين فبواسطته كان يستطيع كل من القوي والضعيف أن يحاور ويداور أمام الهيئات القضائية . ومن ثم فقد عرف عنه أنه يمكن من الوصول إلى الاقناع بأدنى مجهود يقوم به الخطيب ، وأنه يعطي فرصة للحركة الخطابية السريعة والالتفاف حول القانون لدرجة أنه لا تكون هناك حاجة إلى شهود أمام هيئة القضاء في كثير من الأحيان .

---

(١) انظر V. Ehrenberg, Sophocles and Pericles, p. 59 sqq.

(٢) Plato, Phaedrus, 267 a 6 sq.

(٣) Sophocles, Dedipus King, 583 sq. (انتجت في حوالي عام ٤٢٩ ق.م)

(٤) Euripides, Hippolytus, 1013 sqq.; Euripides, Phoenix Fr. 811; J. T. Lees, in Euripides, Lincoln, Neb., 1891.

(٥) Aristotle, Rhetoric, 1402 a 17 sqq.; Cf Plato, Phaedrus, 273 b 3 sqq.

ولقد كان الدليل الثاني من دلائل ميلاد الريطوريقا ذلك التقسيم الجديد لأجزاء الحديث إلى بداية ووسط ونهاية وكل جزء من هذه الأجزاء يختص بمهمة محددة ، وتربط بينها وحدة فنية . وقد كان من نتيجة ذلك الفصل بين السرد والبراهين حتى يكون في امكان المستمعون وعلى الأخص القضاة الوصول إلى أكبر درجة من الوضوح . وأخيراً تأتي الخاتمة epilogue حيث يلخص فيها الخطيب نقاط الحديث الرئيسية ويحاول أن يصل بالمستمعين إلى الاقناع الذي يكون عادة عاطفياً [١] .

ولقد تميزت الخطابة في القرن الخامس بالاهتمام بما يسمى الأساليب النثرية الجديدة ، فكان هناك على الأقل ثلاثة أساليب تظهر بوضوح[٢] . أولها ، ذلك الأسلوب الذي ارتبط بجورجياس وقد تميز بتقليد الاستنباطات الشعرية[٣] . وثانيها ، ذلك الذي ارتبط بثراسيماخوس Thrasymachus وهو الأسلوب الذي كان يقوم على بناء إيقاعي منظوم. وثالثها ، ذلك النوع الذي كان أعم وأقدم وتنقصه الخصائص السابقة ولكنه يمتاز بالولع بالمقابلة antithesis أي المقارنة المتوازنة بين الكلمات والأفكار . وهذا النوع الأخير هو الظاهرة الواضحة في أعمال أنتيفون المبكرة[٤] . ولقد قلد أفلاطون هذا النوع من الأسلوب في محاورة بروتاجوراس باعتبار أنه إحدى الصفات التي اختص بها هذا السفسطائي العظيم[٥] . ويقول فنلي أن وجود مثل هذه المقابلة في كتب

---

(١) Y. B. A. Van Groningen, La composition littéraire archaïque grecque, 1958, p. 233 sqq.

(٢) E. Norden, Die antike Kunstprosa, p. 15.

(٣) Aristotle, Rhetoric, 1404 a 24.

(٤) J. E. Hollingworth, Antithesis in the Attic Orators from Antiphon to Isacus (1915); G.C. Kenyan, Antithesis in the speeches of the Greek historians, Chicago, 1941.

(٥) Plato, Protagoras, 337 a 1 sqq.

ثوكيديديس الأولى إنما يدل على أن معظم هذه الكتب كان يمثل أسلوب المتكلمين الفعلي[1] . هذه المقابلة تبدو واضحة في كل من مسرحيات يوريبيديس المبكرة ومسرحية انتيجوني لسوفوكليس . ولقد حاول البعض أن يربط ظهور المقابلة antithesis ببعض فلاسفة ما قبل سقراط مثل إمبيدوكليس وديمقريطوس وهيراقليطوس[2] . ولكن الواقع أن مثل هذه المقابلة قد وجدت عند هيسيود وثيوجينيس وغيرهم من الشعراء الذين أطلع السفسطائيون على انتاجهم الأمر الذي أدى بهؤلاء الأخيرين إلى استخدام النثر الشعري[3] . ولقد امتدح أرسطو استخدام المقابلة (Rhetoric, 1410 a 20 sqq) إذ يقول أن أسلوب المقابلة إنما يبعث على السرور والارتياح ذلك أن المتضادات تكون أيسر فهماً وخاصة عندما توضع الواحدة في مواجهة الأخرى .

وفي دولة ديمقراطية تظهر أهمية خاصة للكلمة إذ أن كلمة ما يمكن أن تحدث تغييراً كبيراً في مجرى التاريخ . ومن ثم ظهر العنصر الرابع في الريطوريقا ألا وهو الاهتمام بالدراسات اللغوية . وفي هذا المجال اضطلع السفسطائيون بسهم وافر فقام بروتاجوراس بجمع عدد من الكلمات وميز بينها وبين الاستعارات والكنايات كما درس بروديكوس التعاريف . واهتم أفلاطون كذلك بدراسة الاشتقاقات وتحديد معاني الكلمات في محاورة كراتولوس ولما كان السفسطائيون يهتمون في المقام الأول بالنواحي التعليمية فقد وجهوا

---

(١) J. H. Finley, The origins of Thucydides' style, Harv. Stud. in Class. Philol. 5 0, 1939, p. 82 sqq.

(٢) H. Diels, Gorgias und Empedocles (Preussische Akad. d. Wissen. 1884, 1, p. 343 sqq.; E. Norden, id., p. 16 sqq.

(٣) Ben Edwin Perry, The early Greek capacity for viewing things separately, TAPA 68, 1937, p., 403 sqq.; W. Jaeger, Paideia (trans into English), I, p. 294 sqq.

عنايتهم نحو دراسة مختلف فنون الأدب وخاصة الشعر [1] .

وإذا كنا نقول بأن الأسس التي قام عليها فن الريطوريقا قد وضح الاهتمام بها في القرن الخامس ق.م وما يليه ، إلا أننا لا نستطيع أن ننكر أنها ظهرت عند هومر . ونسوق على سبيل المثال الحوار الذي دار بين الآلهة (Iliad, 15, 283) وقول فينيكس Phoenix (Iliad, 9, 442 sq.) أنه قد ذهب ليعلم آخيل كيف يكون متكلماً لبقاً ورجل عمل ؛ مما يدل على أنه كان هناك نوع من تعليم فن الريطوريقا . وهكذا نجد أنه يشار إلى ثيرسيتيس Thersites بأنه على علم بكثير من الكلمات ولكنها ليست مرتبة في رأسه (Iliad, 2, 213) بينما يقال عن أخيل أنه متحدث ذكي (Iliad, 22,281) ، وكان مينلاؤس يوصف بأنه محدث لبق ولكنه شديد الإيجاز بينما أوديسيوس خطيباً مفوهاً تجري الكلمات على لسانه كسيل عرم (Iliad, 3, 212 sqq) . كما كانت بساطة أحاديث مينلاؤس وسمو أسلوب أوديسيوس مضرب المثل (Aulius (Gellius, 6, 14, 7 وأتصف حديث البطل نستور بالعذوبة في الأسلوب(Iliad, 1, 249) [2] . وإذا صح أن نسمي مثل هذه المواضع التي تشير إلى فن الريطوريقا عند هومر بأنها دليل على قدم نشأتها منذ العصور الأولى ؛ إلا أنه من الواضح أن الريطوريقا عند هومر كانت ذات براهين بسيطة لا ترتفع إلى مستوى

---

(١) انظر حول هذا الموضوع —

Finley, id.; H. Mayer, Prodikes von Keos und die Anfager der Synonymik bei den Griechen; A. Guzzo, La problematica del Cratilo, Filosofia, 7, 1956, p. 609 sqq.; A. Pagliaro, Il Cratilo di Platone, Dionisio, 15, 1952, p. 178 sqq.; P ato, Protogoras, 339 a 1 sqq.; Isocrat., Antidosis, 266; Everett Lee Hunt, Plato and Aristotle on Rhetoric and Rhetoricians, p. 8 sqq.

(٢) انظر

G.A. Kennedy, The ancient dispute over rhetoric in homer, A.J.P. 78, 1957, p. 23 sqq.; F. Solmsen, The gift of speech in Homer and Hesiod TAPA, 85, 1954, p. 1 sqq.; Marcel Delaunis, Comment parlent les héros d'Homer, Les Etudes Classiques, 20, 1952, p. 80 sqq.

الجدل الفني في كثير من الأحيان وإن كانت لا تخلو من مواضع يسمو فيها سمواً رفيعاً يقرب من ذلك المستوى الذي يتحدث عنه أرسطو كمقياس لهذا الفن .

وتتمثل الخطوة التالية في نمو الإجراءات القضائية مما أثر بالتالي على تطور فن الخطابة في منظر المحاكمة في مسرحية أيسخيلوس المسماة الضارعات Eumenedes . لقد كانت تمثل ذلك النوع من المحاكمات التي يكون فيها القاضي شخصاً واحداً يسأل ويتلقى الإجابة تلك الحالة التي يصعب فيها أن ينمو فن الخطابة المنمق . ومن ثم نجد أن أيسخيلوس يستخدم فيها أسلوب الاحتمال ، ذلك أنه كان على أوريستيس إما أن ينفي أنه قد قتل أمه أو أن يعترف بأنه قد سفك دمها ولكن بحق [١] .

وعندما نفحص كتابات هيرودوت نجد اهتماماً كبيراً بالجدل ونمواً في الابتكار المتعلق بفن الريطوريقا . لقد كان هيرودوت يحرص في غالب الأحيان على أن يبين أن ما يقال كان عن شاهد عيان . وفي المجالات التي تتطلب نوعاً من التحقيق القائم على الترجيح كان يستخدم أسلوب الاحتمال ، وهذا في الواقع أسلوب يشترك فيه كل من الخطابة والتاريخ . ولهذا يرى البعض تأثير الريطوريقا السائدة في المحاكم القضائية على كتابات هيرودوت[٢] . ولقد كانت أحاديث هيرودوت تشتمل على عناصر الريطوريقا الأربعة، وإن كان لا يقسم هذه الأحاديث إلى مقدمة ووسط وخاتمة في بعض الأحيان ، وفي

---

(١) انظر =

Wo'f Aly, Formp robleme der Führen griechischen Prosa, Philologus supplementband 21. 3 (1929), p. 34 sqq.; Cicero, De inventione, I, 18; Quintilian, 3, 11, 4.

(٢) Wolf Aly, Herodots Sprache, Glotta, 15,1926, p.84 sqq.; R. G. Collingwood The Idea of History, p. 25; Liselotte, Speeches in Herodotes' account of the Ionic revolt, AJP. 64, 1943, p. 194 sqq.; id., Speeches in Herodotes' account of the battle of Plataea, Class. Philol., 39, 1944, p. 241 sqq.

أحيان كثيرة نجده يتبع أسلوب التقسيم المعترف به في الخطابة (Herodote, 5, 157, 7, 8 - 11) ، وأنه يتطرق إلى الاشتقاقات اللغوية (Herodote, 2, 52) ويستخدم المقابلة (Herodote, 7, 51)[1]. ولعل هيرودوت نفسه يشكل نموذجاً لتطور فن الريطوريقا ، فلم تكن كتبه الأولى تحتوي على الكثير من الأشكال الريطوريقية ، ولكن كتابه الثالث يشتمل على جدل حقيقي حيث يناقش فيه القواد الفرس أشكال نظم الحكم (Herodote, III, 80 sqq) ، أما كتبه الأخيرة فإنها تقدم لنا انتاجاً ريطوريقياً ضخماً (على سبيل المثال : Herodote, VII, 8 sqq.; VII, 157 sqq.; VIII, 140 sqq) . ففي مثل هذه المواضع يناقش هيرودوت المسائل بأسلوب ريطوريقي حقيقي مرتبط بالفلسفة على نحو يقرب من أسلوب جورجياس وبروتاجوراس .

وبعد فحص انتاج كل من أيسخيلوس وهيرودوت يكون في وسعنا القول بأن الجدل والأسلوب والترتيب ومختلف فنون الريطوريقا لم تأت إلى أثينا على يد جورجياس عام ٤٢٧ ق.م بشكل درامي مفاجىء ولكنها كانت معروفة في معظم وجوهها من قبل . ولكن هذا لا يعني أن أحاديث جورجياس لم تشد انتباه الأثينيين . لقد شدهم تسلط فكرة الفن الريطوريقي وجذب انتباهم مبالغاته وليس قواعد هذا الفن . ولعله يمكننا الآن أن نستخلص من هذا نتيجة هامة ألا وهي أن الأحاديث التي كان يسوقها ثوكيديديس على ألسنة خطبائه إنما كانت تشبه بالفعل خطابة القرن الخامس ، لقد كان بركليس خطيباً مفوهاً يتوخى الدقة واستخدم أساليب المقابلة، وكذلك كان ثيمستكليس يتحدث ويقارن بين ما هو نبيل وبين ما هو وضيع (Herodote, VIII, 82)[2]

---

(١) J. C. Robertson, The Gorgianic figures in early Greek prose, p. 33 sqq ; Marcel Delaunis, Le plan rhétorique dans eloquence grecque d'Homère à Demosthene, Le Etudes Classiques, 23, 1955, p 273.

(٢) Finly, id., note 11, p. 35 sqq.; E.B. Stevens, Some Attic commonplaces of pity, AJP. 65, 1944, p. 1 sqq.

ولعل الفارق الذي ظهر بين كتابات ثوكيديديس وكتابات هيرودوت يشير إلى أن انتاج ثوكيديديس الذي ألفه بعد وصول جورجياس إلى أثينا قد تأثر بالتدريبات الريطوريقية وأن ثوكيديديس كان على وعي بنظريات السفسطائيين والريطوريقيين المحترفين(١) . لقد كتب ثوكيديديس تاريخه ودبج أحاديثه حسبما يجب أن يقال ta deonta (Thucydid., I, 22) ليس من الناحية الأخلاقية أو السياسية ولكن من الناحية الفنية في عرف الريطوريقا أي حسبما كان خطأ وما كان صواباً في الفن الريطوريقي.وهو يقدم الأدلة (Thucydid., I, 97) apodeixis مسبوقاً بالسببية ويتبع ذلك بالنتائج. ولعل ما يسمى بالحوار الميلي Melian dialogue (Thucydid., V, 85 sqq.) يكون خير ما يمثل فكر ثوكيديديس فهو يرى أن أهل ميلوس قد وضعوا كل اعتمادهم وثقتهم في الآلهة وخاب أملهم ، (Thucydid, V, 113) ، كما يرى أن الحملة الصقلية قد فشلت لا لأنها كانت في موضع القهر بل لأن من قاموا بها وهيأوا لها لم يستطيعوا اقناع الآخرين بها كل الاقناع (Thucydid., II, 66)، وأن الهزيمة قد حلت بها نتيجة فوضى من الداخل . وفي هذا كله يبدو أن ثوكيديديس كان براجماتيا(٢) ، إنه يفسر الدوافع التي وقفت وراء الأحداث وهذا هو الجدل الريطوريقي . وفي المناقشة الميتيلينية Mytilenian debate (Thucydid., III, 37 sqq.) عندما يتجادل كليون مع ديودوتوس نجد أن ثوكيديديس يرفض فكرة العدل ويقبل الواقع reality في جدال تظهر فيه الاتجاهات الريطوريقية بوضوح(٣) .

---

(١) P. Moraux, Thucydide et la rhétorique; Etudes sur la structure de deux discours (III, 37 - 48), Les Etudes Classiques, 22, 1945, p. 3 sqq.

(٢) H. Ll. Hudson-Williams, Conventioncl forms of debate on the Melian dialogue, AJP., 71, 1950, p. 160 sqq

(٣) G.A. Kennedy, Focusing of arguements in Greek deliberative oratory, TAPA, 90, 1959, p. 131 sqq.; L. Bodin, Diodote contre Cléon = quelques aperçus sur la dialectique de Thucydide, Revue des études anciennes 42, 1940, p. 36 sqq.

وبعد هذا الاستعراض التاريخي لفن الريطوريقا نجد أن محاورة مينيكسينوس تحتوي من الناحية الفنية على الأجزاء الرئيسية المكونة للخطبة الجنائزية . ويمكننا القول بأن هذه المحاورة قد اشتملت على المواضيع التي يجب أن تتناولها المرثية من تمجيد العنصر ونوعية التعليم والأعمال المجيدة بصورة لا تدانيها فيها أية محاورة أو خطبة أخرى . وتأتي المواضيع مرتبة واحدة بعد الأخرى وعين الخطيب مركزة على التراث يربط الموضوع بالآخر ولا ينسى أحدها .

الاسلوب :

وأما فيما يتعلق بأسلوب هذه المحاورة فاننا نجد فيها جميع الأساليب الفنية التي يتطلبها الفن الريطوريقي والتي يبحث عنها العلماء الباحثون وبأنها يجب أن تتواجد في الحديث كي يصبح حديثاً ريطوريقياً[1] . هناك نجد الخطوط schemes العريضة اللازمة للفن النثري طبقاً لما قال به جورجياس . تحتوي المحاورة على عناصر الموازنة (236 d) والعلية والنتيجة (236 e) والمقابلة (238 c) ، والحض على الأعمال النبيلة (236 c) ، والجناس (240 d) ، والمبالغة (237 b) ، والأطناب (246 a) ، والتناقض الظاهري (238 a, 237 d, 236 c) . فالموازنة تظهر عند قول سقراط : « لقد شيعوا بموكب رسمي على مستوى المدينة وكذلك في موكب خاص يضم أحبائهم » (236 d) ، والعلية والنتيجة في قوله : « إنه بواسطة الكلمات المنمقة يمكننا تخليد ذكرى الأفعال النبيلة... » (236 e) ، والمقابلة تبدو لنا واضحة عندما يقول : « إن الدولة هي راعية الرجال ، فدولة الصالحين صالحة ودولة الأشرار على عكس ذلك » (238 c) ، كما يظهر الحض في قوله « ويجب أن يكون الحديث ثناء قوياً على من سقطوا ، وأن يكون كذلك تشجيعاً رقيقاً للأحياء ... » (236 e) ، ونجد الجناس في

---

(1) Cf. Stallbaum, Praefatio ad Menexemum, p. 9; F. Blass, Die Attische Bered — Samkeit, I, p. 471; Berdnt, De ironia Menexeni Platonis, p. 26 sq.

قوله : « إن كل حشد وكل ثورة إنمان تقهر بالشجاعة » (240 d) ، والمبالغة في قوله : « كما لم يكن أبناؤهم من أصل مستوطن بل كانوا مواطنين نشأوا من التربة التي عليها ترعرعوا ... » (237 b) ، والاطناب عندما يقول : « لقد قيل عن الأعمال النبيلة الكثير من الثناء ولكن لم يزل هناك الكثير الذي يجدر بالذكر ... » (246 a) ، والتناقض الظاهري في عباراته : « لقد كانت الأولى والوحيدة التي أثمرت للبشر غذاء ... » (237 e) فكيف تكون الاولى وفي الوقت ذاته الوحيدة ؟ وكذلك في « ليقتات الناس عليها بأحسن السبل وأفضلها ... » (238 a) . ورغم أن أفلاطون قد استخدم في هذه المحاورة المحسنات البديعية التي نراها في شذرات جورجياس بشكل متكلف إلا أنه يمكن القول بأن محاورة مينيكسينوس دراسة جيدة وكاملة لعناصر الريطوريقا في ذلك الوقت . لقد استخدم أفلاطون المواضيع الشائعة التقليدية تماماً كما فعل جورجياس الأمر الذي يعيبه عليه ديونيسوس الهاليكارناسي . وهناك عنصر جديد حبذته مدارس الريطوريقيين لهذه الأنواع من الأحاديث ألا وهو استعارة الكلمات والعبارات من اللغة الشعرية . ولم يكن هذا العنصر لينقص بحال ما من الأحوال محاورة مينيكسينوس التي استخدمت في الوقت نفسه الأوزان الإيامبية (مثل: καλὴ μὲν ἀγαθῶν, ἡ δ'ἐναντία κακῶν (238c) ومواضيع أخرى كثيرة .

وإذا كان هناك من نقد يوجه إلى الجزء الأول من محاورة مينيكسينوس إلا أننا عندما نصل إلى الجزء الثاني منها (٢٤٢ وما يليها) وهو الجزء الذي يواسي فيه سقراط أهل من سقطوا في سبيل الوطن فاننا نجد أفلاطون وقد أظهر تفوقاً كبيراً في أسلوب ومواضيع أفكار مثل هذا النوع من الخطابة . إن تفرد مدينة أثينا بفضل شجاعة أبنائها في مواجهة قوى الأعداء (248 dsq.) إنما يأتي ذكره عند ثوكيديديس وليسياس وهيبيريديس[1] . ولكي يواسي

Thucydid., II, 46; Lysias 71 - 76; Hyperides 41 - 42.

سقراط أهل هؤلاء الأبطال فانه يوجه الانتباه إلا أنه ليس الهدف أن يكون للآباء أبناء فانين ولكن أبطال ذوي فضيلة وشجاعة وبأس[١] . ولقد كان ديونيسوس الهاليكارناسي شديد النقد بالنسبة للجزء الأول من حديث سقراط ولكنه في نفس الوقت كان شديد الاعجاب بالجزء الثاني حتّى انه اقتبسه كاملا . وفي هذه المحاورة يمكننا القول بأن خصائص نظرة أفلاطون العميقة تظهر عندما يتحدث عن المواساة . إن نظرته إلى من يسقطون من الجنود فداء للوطن لتذكرنا بنظرة القوانين في محاورة كريتون[٢] . وعندما نصل إلى فكرة أفلاطون القائلة بأنه لا شيء يعدل الفضيلة في قيمته وفصل كل ما يتعلق بالشر عنها (246 e) فإننا نأتي إلى موضوع عزيز على قلبه . إنه يعلن في الجمهورية (Republ., 387d) وكذلك في محاورة مينيكسينوس (247 d) أنه يجب على الإنسان أن يجعل حظه يعتمد عليه هو ذاته وليس على ما يأتيه من خلف يديه[٣] . فهل نقول بأن أفلاطون قد تناول موضوعه بطابع جدي أو أنه كان يستعرض في مكان هزلي صورة من الفصاحة الأفلاطونية ؟ ربما يمكننا القول بأنه قد قدم لنا صورتين متتاليتين في نفس الحديث ، كل صورة تختلف عن الأخرى في لهجتها ومقصدها . لقد تناول أفلاطون في الجزء الأول من الحديث الأشكال التقليدية للمراثي ، وفيه يقدم لنا نقائص هذه الأشكال : ولكنه عندما ينتقل إلى حديثه عن المواساة نجد أن هناك تغيراً مفاجىء في الأسلوب والفكر . وفي هذا الجزء الأخير لا نرى تلك النقائص التي أشار إليها بلهجة ساخرة في الجزء الأول . ويظهر في هذا الجزء الأخير التي يتناول المواساة مفهوم أفلاطوني فلسفي عن الشجاعة والفضيلة[٤] . وهذا المفهوم الأفلاطوني ألا

---

(١) Cf. Lysias, 77 - 79.

(٢) A. Croiset, Sur le Ménexène de Platon (Mélanges Perrot), p. 59 sq.

(٣) F. Blass, Die attische Beredsamkeit, p. 469, n. 2 ; Berndt, De ironia Menexeni platonis, p. 55 .

(٤) A. Croiset, id., p. 61.

وهو استخدام الريطوريقا مع الحق لا يظهر لأول مرة في محاورة مينيكسينوس ولكنه يتردد عند جورجياس نفسه كما يظهر في المحاورة المسماة بهذا الاسم (Plato, Gorgias, 457 d) [١] . وعندما يوجه الآباء من العالم الآخر حديثاً إلى أبنائهم ، نجد أن أفلاطون يتحدث عن خلود الروح ، وعلى هذا يمكن القول بأن المواساة في هذا الجزء تشير إلى العالم الآخر (Menexenus, 246 d) وخاصة عندما يشير إلى الاستقبال الذي سوف يستقبلهم به آباؤهم بعد الممات (247 c) في عبارته الغامضة . كما أن العاطفة التي يبديها الموتى نحو الأحياء تأتي على صورة إفتراضية شاحبة (248 b) بينما نجد أنهيبيريديس أكثر تأكيداً ووضوحاً في مثل هذا الموضع .

والواقع أن محاورة مينيكسينوس تمثل صعوبة بالغة عند تفسيرها ، فسقراط يفشي بأسرار تاريخية تصل إلى فترة صلح أنتالكيداس الذي حدث بعد موته بحوالي اثنتى عشر سنة (245 e 5 sqq.) وهذا انفصال تاريخي anachorism واضح . كما أنه لا يزال هناك غموض حول السبب الذي من أجله أشار إلى أسباسيا وحول ما تعنيه هذه الإشارة .

لماذا كتب أفلاطون هذه المحاورة :

ومن المعروف أن أفلاطون لم يكن من أنصار الريطوريقا ، فلماذا قام بمحاولة تدبيج خطبة جنائزية جيدة ؟ لقد قال البعض بأن هذه المحاورة دخيلة على أعمال أفلاطون[٢] وحجتهم في ذلك أنها تخالف ما هو معروف عن أفلاطون ، ولكن إشارة أرسطو إليها في أكثر من موضع (Aristotle, Rhetor., 1415 b 31, 1463 b 6) لم تترك مجالاً للشك في أنها محاورة أفلاطونية موضوعاً وأسلوباً . ولقد كان هناك إجماع على أن أفلاطون قد قصد في هذه المحاورة

(١) Berndt, id, p. 11.

(٢) F. Blan, Die Attische Beredsamkeit, p. 463 n. 5.

أن يسخر من الريطوريقا المعاصرة له ومن عدم توخيها الحقيقة[1] . ولكن كينيدي يعترض على هذا الرأي بأسباب مقبولة ، منها أنه لا يوجد مصدر معاصر لها يقول بوجهة النظر هذه بل العكس يبدي شيشرون ، الخطيب الروماني ، وهو أقرب تاريخياً من المهتمين المعاصرين بأفلاطون ، يبدي شيشرون إعجابه ويقول أن أعجاب الأثينيين بها جعلهم يعيدون قراءتها على الجمهور مرة كل عام[2] . صحيح أن سقراط قد سخر من الخطباء في بداية الحديث ولكنه عندما وصل إلى صلب خطبته كان جاداً تماماً وخاصة أن الحديث كان يمس جانباً فلسفياً من وجهة نظره ألا وهو الموت والخلود وظل على جديته طوال خطبته حتى إن مينيكسينوس وقد أذهله سمو الفن والفكرة قد داخله شك كبير في أن يكون الحديث من إنشاء أسباسيا كما أدعى سقراط في أول حواره . لقد قال مينيكسينوس : « حقاً يا سقراط ، إنني لاشعر بالامتنان ، من أجل هذا الحديث ، نحو الشخص الذي ألقاه عليه سواء كان رجلاً أو امرأة » (249 d-e) . لقد شعر مينيكسينوس أن سقراط هو الذي يتكلم وهو الذي دبج الحديث وليس أحداً غيره . وعندما سخر سقراط من الخطابة التقليدية والخطباء في بداية المحاورة لم يسكت مينيكسينوس وإنما قابل السخرية برد عليها ولكن لما انتهى الأول من خطبته لم يملك الأخير إلا أن يوافقه على ما قال ولم ير أن هناك غمز أو سخرية . وهذا في الواقع دليل يقدمه لنا إما مينيكسينوس وإما أفلاطون على لسان مينيكسينوس وكلا الأمرين يبين وجهة نظر أفلاطون في تمسكه بصحة ما قال وجديته . وفي هذا المجال يمكننا أن نستنتج من عبارات المحاورة الأخيرة حيث يقول سقراط : « ... ولكن لا تنساني حتى أقص عليك فيما بعد أحاديث أخرى كثيرة وطيبة من أحاديثها تتعلق بالسياسة » (249 e) أن أفلاطون قد غير من موقفه الأول وهو

---

(١) انظر عن المراجع التي تناولت هذا الموضوع :

G. Kenndy, The Art of Persuation in Greece, p. 159.

(٢) Cicero, Orator, 151.

عداوته للريطوريقا وأنه كان ينوي أن يؤلف في الخطابة ، وكان مقصده من ذلك هو الدفاع عن سقراط الذي أعدم دون أن يقول ما يجب أن يقال في مجال محاكمته وأنه قد لاقى حتفه لأنه لم يستخدم سلاح الريطوريقا . ومن ثم يحتمل أنه بدأ بمحاورة مينيكسينوس في هذا المجال ولكن لسبب ما لم يصلنا شيء من انتاجه يفيد أنه واصل هذا العمل ، ربما لظروفه الأخيرة ، وبمعنى آخر لم يكن أفلاطون ساخراً فيما قال . ولقد تناولنا من قبل مقارنة الكثير مما جاء في هذه المحاورة بما جاء في مؤلفات معاصريه من أفكار مما يبين أن أفلاطون كان يتناول مواضيع جادة . والآن نضيف إليها مواضع أخرى كي تزيد من وضوح فكر أفلاطون في محاورة مينيكسينوس . فعندما يتحدث سقراط عن قدرة الإلهام (235 a1) يبدو لنا وكأنه يسخر ولكن أليس في محاورة أيون رد على ذلك ؟ إنه في محاورة إيون لا يسخر من هذه المقدرة بل يحترمها (Plato, Ion, 535 e 7sq.) . وعندما نقرأ حديث سقراط في بداية المحاورة عن تقريظ شهداء الحرب ونعتهم بما فيهم وبما ليس فيهم من صفات ويسخر من الخطباء فإننا لا يجب أن نأخذ ذلك دليلاً على السخرية من كل شيء في الخطابة(235 asq) ذلك لأننا عندما نقارنه بخطبة بركليس الشهيرة في رثاء شهداء الحروب البلوبونيزية عام ٤٣٠ق.م(Thucydid. II, 35 sqq.) نجد أن هذا الأخير يرفض أن يفعل ذلك . ونجد أيضاً أن كلا من بركليس وسقراط يحاولان أن يستخدما كل العبارات التي تساعد على رفع القيم القومية والأخلاقية ، ومما يرجح القول بأن حديث سقراط في محاورة مينيكسينوس كان حديثاً جاداً ما جاء في الجمهورية (Plato, Rep., 607 a 4) من أن الشكلين المثاليين في الشعر هما الأناشيد المتعلقة بالآلهة والثناء على فضائل الرجال . وتأتي المراثي متطابقة مع الشكل الثاني . كما أن أفلاطون قد تناول الخطابة نفسها (Plato, Rep., 392 a 13 sqq) وقال بأن الشكل المناسب لها هو ذلك الذي يبين بأن الإنسان العادل يكون سعيداً وغير العادل يكون تعيساً . والواقع أن محاورة مينيكسينوس تقدم لنا صورة يظهر فيها رضاء من أدوا واجبهم

واستشهدوا فداء لوطنهم.وتمشياً مع ما جاء في الجمهورية (Plat, Rep., 387 d1)
فقد أغفل في محاورة مينيكسينوس كل ما يخص التباكي وأعطى الأهمية
الأولى لخلود من استشهدوا[١] . وفيما يتعلق بالنقطة الهامة التي تثار حول
محاورة مينيكسينوس ألا وهي الانفصال التاريخي Historical anachorism
فانه يجدر بنا فيهذا المجال أن نتذكر الخط الأفلاطوني حول الأشكال الأدبية
(Plat., Rep.,377 e 6sq.;379 a 1sq.)حيث يقول بأن الأدب يجب أنيعطي التأثير
الصحيح على مستمعيه . وانطلاقاً من هذه الحقيقة كانت القصص والأساطير
مثلها مثل المادة التاريخية التي أخذ عنها ثوكيديديس واطلع عليها أفلاطون ،
كلاهما حقيقي ومقبول بالنسبة لأفلاطون ما دام يخدم جانب الحقيقة والأخلاق
والقيم . وبمعنى آخر كان أفلاطون يهتم بالمضمون أكثر من اهتمامه بالشكل
ذلك لأنه ، شأنه شأن معاصريه من المفكرين الإغريق ، لم يكن يعتبر التاريخ
غاية في حد ذاته وإنما يجب أن يكون وسيلة لهدف محدد عميق . وهذا ما يفسر
لنا لماذا أنطق أفلاطون في محاورته هذه سقراط بأحاديث تتعلق بأحداث تلت
وفاته كما فعل نفس الشيء بالنسبة لأسباسيا . فما دامت الحقائق التاريخية
معروفة فلينطق بها أي شخص لكن في داخل الإطار المحدد كهدف من
وراء سردها ألا وهو خدمة الحق والقيم العادلة ، وإذا كان أفلاطون قد
أظهر احترامه العميق لسقراط في مجال الرأي نقول بأنه كان يحترم أسباسيا
كمحدثة ماهرة حصيفة الرأي متبعاً في ذلك ما كان يكنه لها استاذه سقراط
من احترام لما كانت تظهره من اتزان في مجالس بركليس[٢] . ومما يزيد
في التأكيد بأن حديث سقراط في محاورة مينيكسينوس كان جاداً بعيداً عن
السخرية قوله بأن الدستور الأثيني كان نوعاً من الأرستقراطية(Menexenus 238 c5).

---

(١) Cf. G.M. Lattanzi, Il significato e l'autenticità del Menesseno, La parola del passato 31 (1953), p. 303 sqq.; id., Il Menesseno e l'epitafio attribuito a Lisia, Il mondo classico 5 (1935) p. 355 sqq.

(٢) Plutarch, Pericles, 24; Louis Merdiere, Platon V (Budé) 1964, p. 78.

إنه في هذا الموضع لا يخالف ما نادى به دائماً وعلى الأخص في الجمهورية كما هو معروف ، وهو أنه يجب أن تكون الحكومة الأثينية منوطة بأفضل الناس ، وأفضل الناس عند أفلاطون هم أكثرهم حكمة وعلماً . وأفلاطون هنا جاد كل الجد . وعندما يأتي إلى الحديث عن الحروب فإنه يحاول أن يسقط من حسابه أو يحقر من شأن التزمت والاستعمار بينما يمجد الشجاعة والتسامح والفضيلة . ولقد كان هذا هو السبب في أنه صور الحملة الصقلية على أنها حرب تحرير ولو أنها لم تكن كذلك . وكان مقصد أفلاطون من وراء ذلك هدفين . أولهما ، كما قال في الجمهورية ، أن يرتفع بقيم المستمعين ويكون ما في ذهنه وحديثه صاعداً بما في قلوبهم وأذهانهم من قيم نبيلة لأن هذا يحقق الهدف من وراء حديثه . وثانيهما أن يؤكد أيضاً ما قاله في الجمهورية (Plato, Rep., 389 b 7 sqq.) بأن الحكام قد يخدعون الشعب. ولعله كان يقصد بذلك أن يلمح إلى أحداث كثيرة سابقة منها حادث العشرة تالنت التي يقال أن بركليس قد قدمها للملك الأسبرطي نظير عدم مواصلته المعارك ضد أثينا وكذلك العديد من الحملات الجانبية التي خاضتها أثينا ضد دول إغريقية بهدف فرض سيطرتها وتوطيد امبراطوريتها ونقل أموال حلف ديلوس لتنفق على منشآت أثينية دون موافقة الكثيرين من الأثينيين وغير ذلك[١]. ومن الآراء التي تنادي بجدية هذه المحاورة ؛ ذلك القول بأن أفلاطون قد حاول بها أن يمنع قطع المعونة عن يتامى الحروب طبقاً لمشروع قدم في عام ٣٨٦ ق.م ، ومن ثم تناول أحداثاً تاريخية متأخرة عن موت سقراط تبدو في ظاهرها انفصالاً تاريخياً[٢] . وهذا الرأي الأخير وإن بدا غريباً إلا إنه لا يخلو من وجه الصحة لأنه يتمشى مع الأهداف الأفلاطونية في الوصول إلى غاية من وراء كل حديث .

---

(١) A. R. Burn, Pericles and Athens; A. Zimmern, The Greek Commenwealth

(٢) Pamela Hubbe, The Menexenus reconsidered, Phronesis 2 (1957), p. 104 sqq.

لقد كان أفلاطون مفكراً أرستقراطياً بالمعنى النبيل لهذه الكلمة ، أي أنه كان يؤمن بالارستقراطية بالنسبة للخدمة العامة وحب الوطن . فالخدمة العامة يجب أن تكون على أفضل مستوى وحب الوطن على أسمى درجة من التضحية . ولكنه كان في ذات الوقت يعيش الأحداث ويتأثر بها . لقد صدمته أهداف وأساليب الديمقراطية واعدام سقراط الجندي الذي خدم وطنه والمواطن الذي رفض أن يكون إلا أرستقراطياً لا يسبب المتاعب للأصدقاء ويطيع القانون ضارباً بذلك مثلا فذاً . ومن هنا عاش بعواطف معقدة متناقضة : وظهر هذا واضحاً في نظرته للشعر والريطوريقا كما كان الحال بالنسبة لأثينا . وجاءت محاورة مينيكسينوس لتمثل تعادلا بين هذه المتناقضات . لقد كان يؤمن بأنه من النبل والجميل أن يموت الإنسان فداء للوطن ، وفي الجمهورية (Plato, Rep., 468 a 1 - 6) يقول بأن حراس المدينة إنما يجب أن يكونوا على استعداد للتضحية بأرواحهم فداء للوطن . ولكن ما هو هذا الوطن الذي يجب أن يفتديه المواطن بحياته ؟ إنه الوطن الذي يحكمه الحق والعدل . فالمواطن عندما يقدم حياته قرباناً للوطن إنما يعتمد في ذلك على قيم هذا الوطن ونوع الحرب الذي يخوضه . ومن الواضح أن أفلاطون كان يفكر في المصير الذي واجهه سقراط . وهذا ما قد يفسر لنا ما يسمى بالانفصال التاريخي في محاورة مينيكسينوس . لقد أراد أفلاطون أن يشير إلى أنه لا يجب أن يكون سلوك الفرد فقط متسماً بالنبل بل والدولة أيضاً . وهو كمعلم يؤثر في الأجيال القادمة يرى أن على الخطيب أن يصور الدولة في أحسن صورها مهما كانت الحقيقة على عكس ذلك حتى يعلم مستمعيه من المواطنين مستقبل مليء بالفضيلة ، ولو كان في ذلك اغماض العين عن أخطاء الماضي . ومن هنا رأى أفلاطون أن ينطق سقراط في صورة المعلم الذي يرشد مستمعيه كما أنه من الممكن أن يسلك الإنسان السلوك الصحيح[1] . ويمكن القول بأن

---

(١) انظر P. Friedlander, Platon 2 : die platonischen Schriften, Berlin-Leipzig, 1930, p. 217 sqq.

أحد أهداف هذه المحاورة الرئيسية كان هدفاً تعليمياً، خاصة وأنها تأتي بعد افتتاح أكاديميته، وأنه كان يقصد بذلك مواجهة تعليم إيسقراط لفن الخطابة[١].

من المعروف أن إيسقراط قد تتلمذ على السفسطائي جورجياس ، ومن ثم اتبع نفس أسلوبه في الخطابة وأخذ عنه فكرة القيمة التعليمية لفن الريطوريقا ولقد تأثر أيضاً بسقراط وأغرم بأسلوبه في الحياة كما أحب أن يكون مثله . ومن هنا ظهر هذا المزيج واضحاً في حياته فقد احترف مهنة تعليم الريطوريقا لكن وفقاً لتعاليم جورجياس فقط[٢] . ومما أكد عند إيسقراط الاهتمام بفن الريطوريقا هو تتلمذه على يد بروديكوس[٣] . ويمكننا أن نستدل من أحاديث إيسقراط نفسه أنه كان يعتقد بأن الريطوريقا هي الأساس الأول في تكوين العقلية المتعلمة والمثقفة . وكانت الفضيلة في نظره تعادل الر يطوريقا أو العكس بالعكس وكل شخص يملك ناصية كلماته ويعرف كيف يحركها ويستخدمها في موضع سواء كان في مجلس عام أو في ساحة المحاكم أو في مواضع الصداقة أو الخصومة ؛ إنما يكون قد استحوذ على كل الفضائل (Isocr., Panath., 30 - 32) ويستشهد إيسقراط على صدق دعواه بأن ما نالته أثينا من الخير على يد سولون وكلايسثنيس وثيمستكليس وبركليس إنما يرجع لكونهم خطباء مبرزين (Isocr., Antid., 231) يتمتعون بالحكمة (Jd., Antid.,232 sq.) .وكانت الحكمة في نظره تعني الريطوريقا بينما تأتي المعرفة في مرتبة متأخرة . إن أولى فضائل الحياة في نظره هي القدرة على الحديث إذ أنها تميز الإنسان عن الحيوان وبدون الريطوريقا وفن الكلام لا يكون تعليم على الاطلاق (Isocr., Against Sophist., 21; Antid., 275). ويرى إيسقراط أنه لا يمكن حدوث شيء إلا بمساعدة الحديث وأنه في أفعالنا وأفكارنا يكون الحديث هو المرشد والدليل وأعقل الناس من كانت الريطوريقا

---

(١) انظر : F.A.G.Beck,Greek Education 450 - 350 B.C., p. 167 sqq.; Louis Merdiere, Platon V, (Budé), 1964, p. 74 sqq.

(٢) Norlin, Isocrates, Vol. I, XVII of Leob edition.

(٣) Marrou, Hist. Educ., p. 82.

هي القائد والمرشد له (Isocr., Nicocles, 9). وفي كلمة موجزة كانت الريطوريقا تمثل كل شيء طيب بالنسبة لايسقراط . كان الشخص الذي يمكنه التغلب على الخصوم واقناع القضاة والمجالس العامة ويستحوذ على حس الأصدقاء والأعداء بكل السبل هو الشخص الأفضل . كان هذا هو جوهر تعليم إيسقراط وكان هذا هو ما تضمنه وما درسه لتلاميذه على شكل كتب أو نماذج معدة كان يتقاضى عليها أجراً (Isocr., Antid., 30, 37, 241)[1]. ولقد اتبع إيسقراط نفس النمط والمنهاج الذي كان سائداً وخاصة بين السفسطائيين . كان يجمع تلاميذه ليكون حلقة نقاش بين الأستاذ والتلاميذ ، ويستمع التلاميذ لحديث يلقيه الأستاذ على مسامعهم ويناقشهم فيما أعد لهم من خطب تعتمد على مواضيع مساعدة[2]. وكانت الريطوريقا التي يقوم إيسقراط بتعليمها تقوم على نفس الأسس التي سادت في ذلك الوقت فهناك المواضيع الشائعة وخزين من العبارات والكلمات والأشعار والأساطير ونماذج الخطب المعروفة التي يحفظها الدارسين عن ظهر قلب بعد مناقشتها مع معلمهم سواء كانت هذه الخطب قضائية أو رثائية أو سياسية[3]. وبعد أن يجيد الطالب دراسة هذه المواضيع الثابتة التي تشابه تماماً مع فن الشعر بما يحتويه من أساطير ومواضيع عامة وتراث الطالب يتعلم كيف يتحرك حسب مقتضيات الظرف التي يقف فيه متحدثاً[4] . وأحياناً يعلم المدرس تلاميذه عن طريق السؤال والجواب ولكن حتى في هذه الحالة كان الموضوع يملي على الدارسين بطريقة أو بأخرى ذلك لأن الموضوع غالباً ما يكون قلباً وقالباً من تكوين المعلم ولا يشترك فيه التلاميذ بقدر يذكر . ولقد شاع هذا المنهج وانتشر وأضحى الأساس لكل الريطوريقا في ذلك الوقت .

---

(١) R.S. Johnson, A note on the number of Isocrates' pupils; Jebb, Attic Orators, II, p. 28. n. 3.

(٢) R.S. Johnson, Isocrates' methods of teaching, AJP. LXXX, p. 32; Vollgraff, l'Oraison, p. 25; Marrou, Hist. Educ., p. 53 sq.

(٣) Vollgraff, id., p. 1.

(٤) Gomperz, Sophistik und Rhetoric, p. 165 sqq.; Vollgraf, id. p. 24 sq.

وكانت النتيجة الطبيعية أن يخضع فن الخطابة لقالب تقليدي طبع نفسه وترك بصمات واضحة على هذا الفن . وتغلب تعاليم السفسطائيين في كل فروع الخطابة . ففي الخطب القضائية والسياسية كان الخطيب المراوغ الذي يبذل كل جهده ليكسب قضيته بكل الوسائل هو المنتصر . ولا تراعى في مثل هذه أوجه الحقيقة أو الدقة . وفي الخطب الرثائية كان على المتحدث أن يكون ملماً بالمواضيع الشائعة والتقليدية ثم يضيف عليها المبتذل من المدائح . وما دامت الريطوريقا تعادل الفضيلة والحكمة ؛ يكون الاهتمام بفنون الريطوريقا المتبعة في مدارس السفسطائيين ومن ساروا على دربهم هو محل الاهتمام الأول .

بيد أن ما آلت إليه الريطوريقا في مثل هذه الأحوال قد حدا بمن آلوا على أنفسهم أن يقدسوا المعرفة الحقة أن يقفوا من مثل هذه الريطوريقا موقف العداء . ولعل هذا يفسر لنا إحجام سقراط عن الخوض في هذا المجال وتبعه أفلاطون في ذلك . فاذا كانت الريطوريقا في نظر إيسقراط تعادل الفضيلة ، فقد كانت الفضيلة في نظر سقراط وأفلاطون تعادل المعرفة والحكمة[1] . لقد قضى سقراط كل حياته ، وأفلاطون ، معظم حياته ، يعلمان الفضيلة بأنها المعرفة . فعندما يبذل الإنسان جهداً كبيراً في تحصيل المعرفة الحقة باحثاً عن الجمال والعدل والحق فإنه ولا شك سيكسب كل ما يترك أثره الواضح على صفاته وأخلاقه وسلوكه ويقوده حتماً إلى الفضيلة[2] . ولقد ظل أفلاطون بعيداً عن مجال الريطوريقا لا يخوض غمارها حتى دعته ظروف ما ، الغالب أنها كانت ظروفاً نفسية منذ أعدم سقراط ومنذ مجيء الحكام الثلاثين ، فرأى أن يسهم بنصيب تعليمي في هذا المجال محاولا أن يقوّم ما اعوج فيه . وحاول أن ينتقد في بداية محاورة مينيكسينوس ما شاب الخطابة وعلى الأخص خطابة المراثي من عيوب ثم ضرب مثلاً طيباً على كيفية المنهج الذي يجب أن تسير عليه الخطابة .

(١) انظر : F.A.G. Beck, Greek Education 450 - 350 B.C., p. 256.

(٢) Plato, Meno, 82 a ; Theaetetus, 193 c, 197c.

قـائمة المراجـع

1. F.A.G. Beck, Greek Education 450 - 350 B.C., London 1964.
2. Berdnt, De ironia Menexeni Platonis, Münster, 1881.
3. F. Blass, Attische Beredsamkeit, Leipzig 1887 - 98.
4. Bluck, Plato's life and thought, London 1949.
5. L. Bodin, Diadote contre cleon etc., Rev. des études anciennes 42, 1940.
6. A.R. Burn, Pericles and Athens, 1948.
7. Burnet, Greek Philosophy, Thales to Plato, London 1950.
8. R.G. Collingwood, The Idea of History, Oxford 1946.
9. M. Delaunis, Comment parlent les héros d'Homer, Etudes classiques, 20, 1952.
10. H. Diels, Gorgias und Empedocles, 1884.
11. H. Dittmar, Aeschines von Spheltos etc., in philol. Unters. 21, 1912, Berlin.
12. V. Ehrenberg, Sophocles and Pericles, 1954.
13. Farrington, Greek Science; is meaning for us, 1944.
14. G. G. Field, Plato and his Contemporaries, London 1948.
15. J. H. Finley, The Origins of Thucydides style, Harv. Stud. in class. Philol., 50, 1939.
16. K. Freeman, The Pre-Socrate philosophers, Oxford, 1949.
17. G. Blotz, The Greek City, London 1969.

18. Gomperz, Greek Thinhers 3 vols. 1949.
19. id., Sophistic und Rhetorik, Leipzig 1912.
20. B. A. Van Groningen, La composition Litteraire archaîque grecque, 1958.
21. A. Guzzo, La problematica del Cratilo, Filosofia 7, 1956.
22. Hoeltermann, Plato's Polemik im Menon, Euthydemes, Menexenus (Z. F. Gymnasialwesen und) 1904.
23. M. Hoffmann, Zur Erklärung Platonischer dialogue (Zeischer. F. d. Cymnasialn, 59, 1905.
24. J. E. Hollingworth, Antithesis in the Attic Orators from Antiphan to Isaeus, 1915.
25. W. Jaeger, Paideia, The Ideals of Greek Culture, 3 vols, 1947.
26. E. Lee Hunk, Plato and Aristotle on Rhetoric and Rhetricians, 1925.
27. R. S. Johnson, Isocrates' methods of Teaching, AJP, 80, 1959.
28. R. S. Johnson, A note on the number of Isocrates'Pupils.AJP.78,1957.
29. R. C. Jebb, Attic Orators, 2 vols, London 1893.
30. G. A. Kennedy, The Ancient dispute over rhetoric in Homer, AJP, 78, 1957.
31. id., The Art of Persuation in Greece , London 1963.
32. G. A. Kennedy, Focusing of orguments in Greek deliberative oratory, TAPA, 90, 1959.
33. G.C.Kenyan, Antithesis in the speeches of the Greek historians,1941.
34. Liselotte, Speeches in Herodotes' account of the Ionic revolt, AJP, 64, 1943.
35. id., Speeches in Herodotes' account of the battle of plataea, class. Philol. 39, 1944.
36. G. M. Lattanzi, Il significatio e l'autenticita del Menesseno, la parola del Passato, 31, 1953.
37. id., Il Menesseno e l'epitafio attribuito a Lisia, Il mondo Classico 5, 1935.
38. R. C. Lodge, Plato's Theory of Education, London, 1947.
39. H. I. Marron, A History of Education in Antiquity, 1956.

40. P. Maraux, Thucydide et la Rhétorique, Etudes sur la structure de deux discours, Etudes Classiques, 22, 1954.

41. L. Merdier, Plato, Paris 1931 (Budé).

42. O. Navarre, Essai sur la Rhétorique grecque avant Aristote, 1900.

43. E. Norden, Die antike Kunstprosa, 2 vols. 1923, Ben Edwin Perry, The early Greek capacity for viewing things separately TAPA, 68, 1937.

44. Pamela Hubbe, The Menexenus reconsidered, Phronesis 2, 1957.

45. A. Paghàro, Il Cratilo di Platone, Dionisio, 15, 1952.

46. H. Rcader, Platons Philosophische Enturicklung, 1905.

47. J. C. Robertson, The Gorgianic figures in early Greek Prose, Baltimore 1893.

48. D. Ross, Plato's Theory of Ideas, Oxford, 1951. Shawyer, The Menexenus of Plato, 1906.

49. F. Solmsen, The gift of Speech in Homer and Hesiod, TAPA, 85, 1954.

50. Stallbaum, Praefatio ad Menexenum.

51. E. B. Stevens, Some Attic Commonplaces of pity, AJP, 65, 1944.

52. A. E. Tylor, Plato the man and his work, London 1948.

53. A. E. Tylor, Socrates.

54. Wolf Aly, Formprobleme der Führen griechischen prosa, Philologus, Suppl, 21, 3 (1929).

55. id., Herodotes Sprache, Glotta 15, 1926.

56. Wendland, Die Tendenz des platenischen Menexenus, Hermes 25, 1890.

57. T. B. L. Webster, Art and Literature in 4th cent. Athens, London 1956.

58. U. Von Wilamowitz — Moellendorff, Plato, Berlin 1920.

59. id., Aristoteles und Athens, Berlin 1893.

60. H. LL, Hudson — Williams, Conventional forms of debate on the Melian dialogue, AJP, 71, 1950.

61. Zeller, Plato and the Older Academy, 2 vols, London 1888.

الفهرس

تم طبع هذا الكتاب على مطابع دار القلم في بيروت ، ص.ب ٦٦٦٤
٩١/١٧٢



